رشيد الخيّون

النصيرية العلوية

بسورية

السياسة تصادر الطائفة

مدارك

رشيد الخيون

- باحث عراقي.
- دكتوراه في الفلسفة الإسلامية وباحث في مركز المسبار للدراسات والبحوث.
- مارس التدريس، وعمل في مجال التحرير.
- كاتب مقال أسبوعي منتظم في جريدة الشرق الأوسط حتى 2009م، وكاتب متعاقد مع جريدة الاتحاد الإماراتية، وكاتب مقال أسبوعي في مجلة الأسبوعية العراقية.

صدر له أكثر من خمسة عشر كتاباً، منها:

- الأديان والمذاهب بالعراق.
- بعد إذن الفقيه.
- مائة عام من الإسلام السياسي بالعراق.
- النزاع حول الدستور بين علماء الشيعة.
- جدل التنزيل.

٢٢٩٢٢

رشيد الخيُّون

النُّصَيَّرية العَلوَية بسورية

السياسة تصادر الطائفة

الكتاب: **النُّصَيَّرية العَلوَية بسورية**

المؤلف: **رشيد الخيُّون**

التصنيف: **أديان ومذاهب**

الناشر: **دار مدارك للنشر**

الطبعة الأولى: نوفمبر (تشرين الثاني) 2012

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-9948-425-22-9

طبعت في مطابع المتحدة للطباعة والنشر United Printing & Publishing

Madarek مدارك

Madarek Publishing House دار مدارك للنشر

www.mdrek.com - read@mdrek.com

مجمع الذهب والألماس، شارع الشيخ زايد، بناية رقم 3، مكتب رقم 3226، دبي - الإمارات العربية المتحدة

Gold and Diamond park, Sheikh Zayed Road, Bldg 3 Office 3226, Dubai - United Arab Emirates

P.O.Box: 333577, Dubai - UAE. Tel: +971 4 380 4774 Fax: +971 4 380 5977

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لـ **مدارك**. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من **مدارك**.

النُّصَيَّرية العَلوَية بسورية

السياسة تصادر الطائفة

رشيد الخيُّون

المحتويات

مقدمة..... 7

الفصل الأول

• الافتراق عن الجعفرية 29
• بعد الغيبة بسامراء..... 29

الفصل الثَّاني

• أقوال وأقاويل الجرح 57
• رواية ابن بطوطة 72
• فتاوى ابن تيمية 78
• الجيل الثَّاني..... 80
• ليلة الماشوش 84
• بدوي وأدونيس..... 97

الفصل الثَّالث

• محاولات الدِّفاع والتَّعديل 105

الفصل الرَّابع

• دولة العلويين «1920-1936» 127

• الظُّهور والضُّمور 127

• محاولة تسمية المذهب الخامس 134

• علويو تركيا 141

خاتمة 147

المصادر والمراجع 151

فهرس عام 163

مقدمة

كان الخوض في الشَّأن العلوي له حساباته، كونه يمس الحكم بسورية مباشرة، فالهيمنة النُّصيرية العلوية في المراكز الحساسة كانت واضحة وتعطي هذا الانطباع حتى من دون أن يكون هناك منعٌ مباشرٌ. بمعنى أن الحديث عن هذه الطَّائفة يُفهم أو يُفسر بالنَّيل من النِّظام. فأتذكر عندما حاولنا إصدار كتاب، ضمن سلسلة كتاب المسبار الشَّهري، عن مركز «المسبار» للدراسات والبحوث، عن العلويين كطائفة دينية، لم نستطع العثور على باحثين من داخل البلاد السُّورية للكتابة في هذا الملف، فالذين ناشدناهم تعذروا وتوجسوا.

بل إن الذين رشحوا للكتابة فيه ارتأوا تناول العلويين لكن من خارج سورية، وبعناوين غير لافتة، خشية من اعتبار ذلك تعرضاً للنِّظام السُّوري، فليس هناك أقوى من أجهزته الأمنية والمخابراتية. في حين لما تفجرت قضية العلويين بتركيا العام 1993 و1995 خصصت أكثر الصُّحف والمجلات والفضائيات، في حينها، ملفات لهذا الحدث من دون الإشارة إلى سورية ولو بالاسم، وكانت مناسبة أن يفتح ملف النُّصيرين العلويين كتاريخ وحاضر راهن.

من اللافت للنَّظر أن الشَّباب النُّصيري العلوي الكُرد والتُّرك، آنذاك، كانوا يعتصمون أمام السَّفارات التُّركية، وبلندن السَّفارتان التُّركية والسُّورية متجاورتان، على أن الأخيرة سفارة

نظام عَلوي، مِن ناحية طائفة رئيس البلاد وقياداته المتنفذة، لكن لم يحصل أن عبرت سورية عن تلك الحقيقة، بشكلٍ مِن الأشكال، كاحتجاج أو بمدّ يد المساعدة والعون، بل على العكس كانت العلاقة بين البلدين متينة، وأن سورية التي لجأ إلى أراضيها زعيم حزب العمال الكردستاني عبدالله أوجلان أبعدته بضغط وتهديد مِن تركيا، فاختطف مِن الأراضي الكينية في (فبراير 1999)، بينما كان حزبه يضم نسبة ليست بالقليلة مِن نُصيري - علويي تركيا، الكرد بطبيعة الحال، والذين يحملون أفكاراً يساريةً، فالحزب المذكور نفسه مصبوغ بتلك الصّبغة إلى حدٍ بعيد.

لكن الملفات فتحت مِن دون إثارة نزعة طائفية، أو حرص على دعم هذه الطَّائفة، مثلما هو الحال في المواجهات داخل سورية، بل إن القوى الشِّيعية، الرَّسمية وغير الرسمية، نفسها لن تتقدم بدعم أو إثارة ضد تركيا لنصرة الطَّائفة النُّصيرية العلوية، مثلما هي تنصر الآن السُّلطة السورية، ولا القوى السُّنية اتخذت موقفاً ما ضد العلويين لدعم تركيا ولو في الإعلام أو أي إثارة ما، مثلما يجري الحال في الأزمة السُّورية، في الوقت الحاضر، بدوافع عديدة قد لا تخلو مِن حماسة الاصطفاف الطَّائفي مع يقيننا أن النِّظام بسورية وصل إلى نقطة لا ينفع معها إصلاح واصطلاح، وتجربة النِّظام العراقي السَّابق ما زالت طرية في الذاكرة.

نحتاج إلى تمييز بين السُّلطة والطَّائفة أو الدِّين، بين الحكم والقوم، فالمسؤول عادة عن المحاسن والمساوئ هو الحاكم لا الطَّائفة التي ينتسب إليها.

فعندما كتب الباحث العراقي هادي العلوي (ت 1998) كُتيبيه: «الاغتيال في الإسلام» و«التعذيب في الإسلام» (1987) جاءت الردود حينها، وكنت أحد الرَّادين، بأنه لو سمى الدُّول بأسمائها: أموية أو عباسية، لكان أكثر واقعية من تسميتها بالإسلام، ونحن نعلم أن العلوي قصد الدَّولة لا الدِّين. كذلك الحال لمَن كتب عن أهل الأديان الأُخر في ظل الدُّول الإسلامية وجمعهم «في الإسلام»، فأضاع تشخيص الوقائع، فمِن الدُّول مَن عدلت ومنها مَن ظلمت.

لقد أُخذت الطَّوائف بجرائر السُّلطات، فالغرب بشكل عام، وعلى الأخص الأميركان، عندما كانوا يتحدثون عن النِّظام العراقي السَّابق يشيرون إليه بالسُّنِّي، وعندما يتحدثون عن الحقوق يشيرون إلى: الكُرد والشِّيعة، على أن المتلقي يفهم أن الحكم كان سُنياً، مع أنهم كانوا يتعاملون مع معارضين سُنيين أيضاً، وأن الحزب الإسلامي العراقي، المعبر عن جماعة الإخوان المسلمين كان في المعارضة، وأول عالم دين قُتل هو الشَّيخ عبدالعزيز البدري (1969)، وكان عضواً في حزب التحرير، ثم شَكل «الكتلة الإسلامية».

ظهرت سلبية هذا الطَّرح بعد سقوط النِّظام العراقي، فأُخذ يُشار إلى السُّنِّي على أنه السُّلطة وأن الآخرين المتسلط عليهم. قبل هذا أشيرَ إلى حزب البعث بالسُّنِّي مقابل الحزب الشِّيوعي العراقي بالشِّيعي[1]. مع أن البعث تأسس مِن قِبل شيعي هو فؤاد الرِّكابي

---

(1) العلواني، العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات 2 ص 80-81.

(اغتيل 1971)، وأغلب قادته كانوا من الشِّيعة في انقلاب فبراير (شباط) 1963. أما الحزب الشِّيوعي فتأسس من قِبل مسيحي هو يوسف سلمان يوسف الشهير بفهد (أعدم 1949)، وقادته كانوا من عانة والنَّجف وديالى وأربيل والموصل وبغداد والبصرة وسواهنَّ من حواضر العراق، أي سُنَّة وشيعة وكُرد وصابئة وأيزيديين ومسيحيين ويهود. باعتقادي أن بث هذه التصنيفات بقصد الحث على العيش في التناحر الطَّائفي، والشَّواهد لا تحصى.

صحيح أن مَن يصل إلى السُّلطة يحاول الاعتماد على الأقربين، من أبناء طائفة أو مدينة أو قرية، لكن ليس معنى هذا أن يُشار إلى حزب البعث بالعراق على أنه سُني، وحزب البعث بسورية على أنه علوي نُصيري. هذا ليس كلاماً جاداً، ولا أدري كيف يمر على أهل الأكاديميات.

إن خطورة هذا التَّأويل تأتي على المجتمع المتنوع، وسيقود إلى ضغائن وممارسات ضد طائفة كاملة، منها مَن صار ضحية للنِّظام، والشَّاهد صلاح جديد وسواه.

أرى أن يجد في التحذير من هذه الثَّقافة التي جعلت داخل العراق مثلاً أن المواطن السُّنَّي متهمٌ بجريرة النِّظام السَّابق، بل وأخذت تُحسب عليه ممارسات القاعدة والإرهاب، وكأن ليس هناك مقاتل جماعية بالأنبار وتكريت وديالى والموصل وسامراء بعد التاسع من أبريل (نيسان) 2003 وتصفيات لغير المرغوب فيهم

قبل ذلك.

أرى أن يُحترس من هذا الطرح، وهذا المزج العشوائي، بين الطوائف والأنظمة التي تُقاد من المنتسبين إليها، الشيء نفسه الآن يجري في الحديث عن العراق، بأن الشِّيعة الإمامية هي الحاكمة، وبالتالي تُحسب عليها الصَّغيرة والكبيرة، والأمر ليس كذلك.

عندما انفجرت القضية العلوية بتركيا - إن صحت العبارة - لم تكن مثلما هي عليه الآن، أي تقديم النزاعات على أنها طائفية، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن أغلب المنتفضين داخل البلاد التركية كانوا من الأحزاب اليسارية المنتشرة أفكارها بين العلويين، فكان هناك نوع من المزج بين حقوق عامة وحق الطَّائفة المهمشة، حسب شعورها بذلك.

التُفت إلى أحوال هذه الطَّائفة، وتاريخها وعقائدها، بشكل آخر واهتمام مثير بعد ولاية أبنائها مراكز قيادية سورية، كصلاح جديد (توفي في سجن ابن طائفته حافظ الأسد السنة 1993)، الذي أصبح الرَّجل الثَّاني بسورية العام (1966) والأقوى على الإطلاق. ثم حافظ الأسد (ت 2000) رئيس الوزراء ووزير الدِّفاع (1970) فرئيس الجمهورية (1971)، وكلاهما من قرية قرداحة النُّصيرية العلوية التابعة لمحافظة اللاذقية غرب سورية، التي أخذت تشتهر عن طريق السُّلطة، وهي قرية كانت منسية في ما مضى، شأنها شأن قرية العوجة التابعة إلى مدينة تكريت غرب العراق، والتي اشتهرت بصدام حسين (أعدم 2006)، وكانت القريتان عدوتين

لدودتين، قياساً على العداء بين ولديهما، الذي استمر حتى موت الأول وإعدام الثَّاني.

بعد وصول شباب مِن قرداحة إلى سدة الحكم بدمشق وصل أبناء القرية الآخرون، ومِن الطَّائفة العلوية ككلٍّ إلى مراكز حساسة، في مجتمع أغلبيته مِن أهل السُّنة والجماعة، وإذا كان عدد سكان سورية عشرة ملايين، فيُقدر عدد النُّصيريين العلويين منهم بأكثر مِن المليون بالقياس على إحصاء 1952، وكان العدد الكلي ثلاثة ملايين وسبعمئة وأربعة وثمانين ألف وثمانمئة وخمسين نسمة، نسبة العلويين بينهم 11 بالمئة[1].

إلا أن حافظ الأسد قطع مسافات التَّباعد بين أقلية حاكمة وأغلبية محكومة بدخوله المسجد الأموي والصَّلاة تحت سقفه حسب تقليد المذهب الحنفي، نسبة إلى الإمام العراقي أبي حنيفة النُّعمان (ت 150 هـ)، ونهج بعده نجله بشار الأسد النَّهج نفسه، وكان إمام الصَّلاة بطبيعة الحال ليس مِن الطَّائفة العلوية، إنما هو مفتي سورية السُّني المذهب، والذي له الصَّدارة في الأمور الدِّينية والرَّسمية، ولم يُسمح لشيخ علوي أن يظهر في واجهة الإعلام، أو أن يجري الحديث عن طائفة بهذا الاسم، لكن مع ذلك، يفهم نفوذها بوجود أبناء لها في أعلى السُّلطة.

لم تكن هناك عائلة باسم الأسد بين العلويين أو بقرية قرداحة، إنما يُذكر أن لقب الرَّئيس كان الوحش، ولما تقدم في

---

(1) شرف الدِّين، النُّصيرية، ص 8.

المناصب كوزير دفاع صار هذا اللقب ثقيلاً أو غير ملائم للرَّجل فتسمَّى بالأسد، سمعت هذا من بعثي سوري، من القدماء، وما زال عندما قص لي حكاية اللقب من محبي الرَّئيس، ولا علم لي بموقفه بعد الأزمة. ولا تبدو قصة اللقب الأصل والبديل مهمة، على ما يبدو، فلم يذكرها ضد عائلة الأسد معارض سوري أو إعلام دولة من الدُّول الخصوم، على حد اطلاعي. بطبيعة الحال، لم يختر هو لقب العائلة وإنما الألقاب تلحق النَّاس بالوراثة عادة ولا يؤاخذون عليها. لكن يبدو أن لقب الوحش قد شُطب إلى الأبد ليحل محله الأسد، وأخذت العائلة من القريبين والبعيدين اللقب الجديد.

أجدها مفارقة ودورة من دورات الدَّهر، أن يُصلي علوي في محراب المسجد الأموي، الذي طالما سُب ولُعن علي بن أبي طالب من على منبره، وهو مَن تنتسب إليه طائفة الرَّئيس، فقد استمر اللَّعن بآل علي نحو نصف القرن (41-99 هـ)، حتى منعه عمر بن عبدالعزيز (ت 101 هـ) حال توليه الخلافة، وكان اللَّعن والسَّب أعلنه معاوية بن أبي سفيان (ت 60 هـ) قبل خلافته.

نفهم من تلك الممارسة، التي دشنت السَّب واللَّعن، أنها ساهمت في تأسيس الكراهية والقُدسية في الوقت نفسه، فيغلب على الظَّن أن جزءاً كبيراً من الغلو في علي بن أبي طالب كان سببه لعنه على المنابر مع الصَّلاة، مما أدى إلى العكس في نفوس محبيه، أو فيمن لا يرى جدوى لمثل تلك الممارسة.

بما أن الطَّائفة النُّصيرية أو العلوية لا تتقيد ولا تتشدد كثيراً بالفروع، ضمن تأثيرات صوفية وعزلة طويلة، وأن الرَّئيس

المنتسب إليها لم يكن متديناً، فظل يصلي بصلاة أهل السُّنَّة في الأعياد والمناسبات الدِّينية، ولم يغير في مذهب الدَّولة الرَّسمي شيئاً، واستمرت البلاد رسمياً على المذهب الحنفي في المعاملات، وعلماء السُّنَّة يظهرون إلى جانبه مما يعطي انطباعاً بأن الدَّولة على ما هي عليه ليس هناك من تغيير في تشريع أو تقديم مذهب ما مكان مذهبها الرَّسمي، الذي كانت عليه منذ العهد العثماني، وأن الاعتراف بالمذاهب الأربعة إلى جانب المذهب الخامس، وهو مذهب النُّصيريين العلويين، الذي يشار إليه بالجعفري، كان موجوداً منذ توحيد دولة العلويين مع بقية سورية العام 1936. فقرية قرداحة، وهي مسقط رأس الرئيس ومدفنه، ومناطق العلويين الأخر تدين بالمذهب الجعفري العلوي.

بعد الأزمة السُّورية الجارية (مارس/ آذار 2011) وكسر حاجز الخوف بإعلان العصيان على النِّظام، والمواجهات بين الجيش الرَّسمي والجيش الحر، عاد الاهتمام بتاريخ وجود الطَّائفة العلوية من جديد وبقوة أكثر، فبوجود رئيس جمهورية وقائد لحزب البعث الحاكم وأركان فاعلين علويين؛ جعل المعركة كأنها مواجهة بين الطَّائفة النُّصيرية العلوية وبقية السُّوريين، بل أوسع من هذا أخذت تُفهم أنها بين شيعة وسُنَّة، على اعتبار أن الطَّائفة محسوبة على الشِّيعة، وبالفعل يصفها فقهاء ومؤرخون، من داخلها وبإصرار وأدلة وشواهد، على أنها شيعية جعفرية، مثلما سنرى لاحقاً.

ربَّما توقع ذلك جمال عبد النَّاصر (ت 1970) عندما أشار في خطاب له، بعد الانقلاب بسورية (1966) ضده، واليأس من إعادة

الوحدة السُّورية المصرية إلى الحياة، وتسلم العلوي صلاح جديد المركز القوي بالحكومة وحزب البعث، وكان المذكور من قبل سجيناً بالقاهرة. بعد فشل الوحدة قال عبدالنَّاصر، ومِن أجواء كلمته أنه كان يستهزئ بحكام سورية الجدد: «حزب البعث إلّي قسم سورية إلى قسمين، وعمل تمييز عنصري، واعتمد على الطَّائفية واعتمد على الأقليات»[1].

لم يكن عبدالنَّاصر طائفياً أو ضد شيعة أو علوية، ذلك إذا علمنا أن زوجته الست تحية أم خالد شيعية، فعائلتها تسمى أصفاني كاظمي، وكانوا يبيعون السَّجاد، وابن عمها عميد كلية التربية في الأزهر محمد إبراهيم كاظم، سمع ذلك وزير العدل العراقي الأسبق أحمد الحبوبي ووزير المالية الأسبق شكري صالح زكي من عبدالنَّاصر شخصياً خلال استقباله للوفد العراقي برئاسة الرئيس عبدالسَّلام عارف (قتل 1966) رداً على أحدهم خلال حديث ودي على مائدة الطَّعام: «دول الشِّيعة أخوال أولادي»[2].

كُتب عن العلويين النُّصيريين الكثير الكثير، لكن يكاد الأعم الأغلب مما كُتب مِن خارجهم يكرر نفسه بنقل ما كان بين العوام من ممارسات؛ وما أُضيف إليها أعشار الأعشار فتكرس الموقف السَّلبي والكراهية ضدهم، ويغلب على الظَّن إنه ما كثرت المؤلفات ضد طائفة مِن الطَّوائف، مثلما كثرت ضد العلويين وتجد المَظانّ

(1) سماع من يوتيوب، على الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=JhiZiwJuaFA

(2) كتابنا أمالي طالب الرِّفاعي، بيروت: دار مدارك 2011، ص 317.

واحدة. فمع توافر ما كتبه علماؤها من توضيح واعتراف بواقع مرير طبعته فيهم أزمنة العزلة والقهر، إلا أن الصَّوت الضِّد ما زال هو السَّائد، ولا يريد الكاتبون والباحثون إلقاء ولو نظرة على ما كتبوا وما بحثوا، وعلى ما أخذ العلويون يقتربون به من بقية المذاهب بعد زوال الدَّولة العثمانية مباشرة.

بلا شك كان النُّصيريون العلويون شيعةً اثني عشرية، وما كُتب ضد هؤلاء قد شملهم، ثم انحرفوا عنها في مسألة ملء الفراغ بعد وفاة الإمام الحادي عشر الحسن العسكري (ت 260 هـ)، وبعد غيبة ولده المفترضة محمد المنتظر المشهور خبرها بسامراء، فاجتمعت ضدهم الأطراف كافة، من السُّنَّة والشِّيعة على حد سواء، وربَّما هدأ الحال تجاههم وبدأ التَّطبيع، بعد العزلة الطَّويلة التي امتدت إلى قرون، لكن سلطة قرداحة، خلال الأربعين سنة الأخيرة، عادت بهم إلى المربع الأول، فظهر خصماء جدد، وكأن الموقف ضدهم جرى بلا انقطاع من الغيبة بسامراء (260 هـ) إلى السُّلطة بقرداحة في وقتنا الحاضر.

مع أن علماء النُّصيريين ظلوا يصرخون، منذ العام 1920 حال قيام دولتهم الطَّارئة في التَّاريخ المعاصر، والتي عُرفت بدولة «جبال العلويين»: نحن مسلمون، نصلي ونحج ونزكي ونؤمن بما جاء به الإسلام، ويعلنون بأنهم إماميون جعفريون، يقرون بإمامة علي والأئمة من أولاده وأحفاده الإثني عشر، وبالغيبة وعدم موت المهدي وبظهوره، لكن لا أحد يسمعهم سوى مراجع من الشِّيعة، حتى بعضهم أخذ يتنافس عليهم، ويسعى في أن يكونوا ضمن مرجعيته،

فزيارة المرجعية الشيرازية إليهم، مِن كربلاء، لم تكن خالية مِن هذا الطُّموح. أما الآن فقد زاد الطِّين بلة، وحسبوا كافة أنهم هدفاً في الإعلام، فالنِّظام السُّوري محسوب عليهم، حتى حُصروا بسلطة قرداحة، فتشابه موقفهم بسُنَّة العراق عندما حُصروا بسلطة العوجة، على نظام صدام حسين مِن دون وجه حق، غير أن الطَّائفة شيء والحزب أو الشَّخص الحاكم شيء آخر.

كتب ضدهم قبل أن يتولى شباب مِن الطَّائفة السلطة بسورية، كوطنيين وقوميين وبعثيين لا كعلويين نُصيريين، كي لا يُعد ما كتب ضدهم بغضاً سياسياً، مثلما جرى ضدهم في العهد العثماني، يوم وقعوا ضحية النزاع بين صفويين وعثمانيين ولزمن طويل. هذا، وقبل ذلك لا تجد مَن يتحدث عنهم بإيجابية مِن مؤرخي المقالات والملل والنِّحل، بما فيهم مؤرخو الشِّيعة الإمامية، مع أنهم إماميون أيضاً، ويقولون صباح مساء: ليس لدينا فقهاً سوى الفقه الجعفري.

فما حصل بعد وفاة الإمام الحسن العسكري (260 هـ)، وغياب ولده المفترض محمد الملقب بالمهدي، في السَّنة نفسها أعلن أحد وجوه الشِّيعة الإمامية آنذاك محمد بن نصير النّميري (ت 270 هـ) أنه المكلف بشأن الإمام الغائب، متجاوزاً بذلك السُّفراء الأربعة، مثلنا هو الحال لدى الإثني عشرية، وبذلك أخذ يتردد في كتب الملل والنِّحل اسم النّميرية عند البعض وعند البعض الآخر عرفوا بالنُّصيرية.

إن خروج ابن نُصير النّميري من الخيمة الإثني عشرية، على ما يبدو، ليس خروجاً عقائدياً، بقدر ما كان خروجاً سياسياً، جوهره الاختلاف على إدارة شأن الإمامة، ولم يتنبه أحد إلى تلك اللحظة، التي يكمن فيها سرُّ ما جاء في كتب الشِّيعة الأولى ضد هذا الرَّجل، الذي هو بمثابة المؤسس لهذه الطَّائفة، وإن لم يقبلوا هم، أعني النُّصيريين، مثل هذا التَّصور بعد أن وجدوا أنفسهم بحاجة إلى ردم الهوة بينهم وبين الإثني عشرية، وأن عقيدتهم هي عقيدة الإمامية، وبأن مؤسسهم هو النَّبي محمد لا سواه[1]. لكن الحقيقة تقول: لولا ابن نُصير ورأيه المختلف لظلت الإثنا عشرية واحدة، ولا وجود لهذه الجماعة.

هناك كُتّاب ومؤرخون تورطوا في الكتابة عن النُّصيريين العلويين، بمعلومات منقولة عن خصم أو خارج عنهم، فأخذ الحديث يجري عنهم، وكأنهم هبطوا من كوكب آخر، تجد أخبارهم في هذه الكتب أُناس لا أخلاق ولا يراعون الأعراف والسلوك الاجتماعي المعتاد في هذه المناطق لدى المسلمين، حتى رموا بتهمة إحياء ليلة يجتمع فيها النِّساء والرِّجال، عُرفت بليلة «الكفشة» أو «الماشوش» مثلما سيأتي تفصيل ذلك. وأنهم قتلة يغدرون بالآخرين. أما أصل

---

(1) جاء في كتب الشيعة الإمامية مثلاً: «إن أول مَن وضع بذرة التَّشيع في حقل الإسلام هو نفسه صاحب الشَّريعة الإسلامية. يعني أن بذرة التَّشيع وُصفت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب، سواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسَّقي والعناية» (كاشف الغطاء، أصل الشِّيعة وأُصولها، ص 44).

المعلومة أو مصدرها فتجدها منسوبة إلى رجل أو شاب ضاق به الحال من تلك الممارسات فتحدث عمَّا شاهده، ثم نُقل عنه وشاع وثيقة ضدهم، اُنظر مثلاً ما ورد في مجلة لغة العرب (المجلد الخامس، ص 368 وما بعدها).

أما شيوخ الطَّائفة وأبناؤها فبدأوا يردون على التقولات المنسوبة في معظمها للمستشرقين، وهؤلاء أخذوها كمعلومات شائعة، ليس مِن مصدر، ولم تتح لهم فرصة الرَّد والتصحيح إلا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، فيصرون على أنهم مسلمون شيعة يؤمنون بالأُصول الإمامية: التوحيد والرسالة والعدل والإمامة والمعاد، والفروع مثلما هي عند بقية المسلمين، وأن مصادر معاملتهم وعباداتهم هي: القرآن وكتب الحديث ورسائل علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية المعروفة. بينما عدم الاعتراف بالسُّفراء الأربعة يعني عدم الاعتراف بوكلائهم ومِن ثم مراجع المذهب عبر التَّاريخ.

أخذت الكتابات السابقة ضدهم تظهر مِن جديد وبقوة، وتبث فيها الحياة، وكذلك أخذت تشيع، على مواقع الإنترنت، الفتاوى القديمة ضدهم، وهي التي صدرت بحقهم خلال نهاية القرن السَّابع والثامن الهجريين. وهنا تنقسم الآراء حسب الموقف السِّياسي، فالضَّد تعلق بما كتب عنهم من غرائب سابقة، ولا يريد قراءة حرف آخر جديد بشأنهم، مع عدم معقولية العديد مما كُتب

وقيل، وأضيف إلى ذلك أنهم الأقلية الحاكمة للأكثرية. ومَن وجد نفسه معهم تنكر ما قيل فيهم سابقاً، وكأنهم لم يتخذوا أسلوباً خاصاً في شأن الإمامة، ولم تكن لهم نزعة صوفية أبعدتهم عن بقية الشِّيعة، بميلهم إلى الغلو المرفوض لدى الإثني عشرية.

لكن بعد أن تولى حافظ الأَسد (ت 2000) الرئاسة في انقلاب عسكري (1971) تقدم الصُّفوف وصلى في المسجد الأَموي بدمشق ضاماً يديه، مثلما سبقت الإشارة، بمعنى قدم نفسه أنه مِن الأكثرية كونه رئيس البلاد. فكانت دورة مِن دورات الدّهر أن يصلي علوي (المذهب لا النّسب) داخل المسجد الأَموي ذاته! مع أن الأَسد لم يعرف عن علويته أو نُصيريته سوى النّسبة لهذه الطَّائفة، بعد أن ذاب داخل حزبه «البعث». لكن بعد تغليف السياسة بالمذهبية، لوجود الإسلام السياسي، اُلتفت إلى هذه الجماعة وتمايزها عن محيطها السُّنَّي، ولو لم تكون السُّلطة بيد علوي لنُسي ما قيل فيهم، أو توقف عند حدود زمنه، وإن ذُكر فيُذكر مجرد تاريخ، مثلما هو الحال مع الفِرق المنسية.

كانت تلك الصّلاة رسالةَ اعتراف بمذهب الدَّولة الحنفي، الذي ظلت عليه سورية، فالأَسد حينها لم يفكر بعصبة الطّائفة، بقدر ما فكر بسلطته وسلطة حزبه «البعث»، ولا نرى الطَّائفة أقرب إليه مِن نائبيه في الحزب والدّولة ووزير دفاعه وشريكه في الانقلاب، السُّنّيين جميعاً: عبدالله الأحمر وعبدالحليم خدام

ومصطفى طلاس، إلا أنه قد تشكلت ميليشيا بقيادة أخيه رفعت الأسد (سرايا الدفاع)، حُلت في ما بعد، اعتمد فيها على المناطقة والطَّائفية، وظل الاعتماد على عصبة من الطَّائفة وبعلائق مناطقية وأُسرية في الشُّؤون الأمنية بائناً.

لكن لا يعني هذا أن المؤسسة الأمنية والمخابراتية قد خلت من غير العلويين، أتذكر أن ضابطاً كبيراً في قوات الأمن، راجعته لقضية تأخري بدمشق أكثر من الزَّمن المحدد (نوفمبر/ تشرين الثَّاني 2000) فلا بد من مراجعة دائرة المخابرات المكتب الخاص بالعراقيين، كان سُنياً حنفياً، والعديد ممَن معه من الضُّباط أيضاً، وكنت أنتظر في مكتبه، وجرى حديث طويل عن الإمام أبي حنيفة. مع وجود وزير دفاع سُنّي، ومن مشاركي الأسد في انقلابه ضد زعيم علوي هو صلاح جديد، ووزارات مثل الإعلام والثَّقافة ورئاسة الوزراء كلها بيد بعثيين من أهل السُّنَّة، ناهيك عن وجود بقية الطَّوائف الدِّينية داخل السُّلطة عن طريق الحزب. لكن ذلك لا ينفي وجود عصبة الطَّائفة في مفاصل الدَّولة المهمة، وليس الطَّائفة ككلّ بل الدائرة الضيقة المقربة، وهناك من العلويين ليسوا على وئام مع البعث ومع الحكم، فذلك بطبيعة الحال يخص النَّاشطين في حزب البعث وليس الطَّائفة بشكل مباشر، مع عدم إغفال الصِّلات القرابية.

لم يكن «البعث»، الحاكم سابقاً ببغداد وحالياً بدمشق، سُنياً وعلوياً، كذلك الخلاف بين صدام حسين (أعدم 2006) والأسد لم

يكن بين سُنِّي وعلوي، لكن الوشائج الطّائفية تستغل عادة. كذلك لم تقترب دمشق من طهران على أساس طائفي آنذاك، إنما الخلاف السُّوري العراقي (تموز 1979)، كان سابقاً على نشوب الحرب العراقية الإيرانية (أيلول 1980). وإذا كان تفسير ما بين طهران ودمشق بالتّوافق المذهبي آنذاك فبمَا يفسر القرب الليبي الإيراني خلال تلك الحرب، ودمشق لم تجافِ محيطها السُّني بالمنطقة؟! لقد ظلت صلات دمشق وعمان والقاهرة وعواصم الخليج ممتازة، في زمن الأسد الأَب خصوصاً، ومع وجود «حزب الله» (1982).

تلك الحمة الطَّائفية، والوعيد للعلويين، دفعت الإخوان المسلمين السُّوريين إلى محاولة الطمأنة، هذا ما سمعته وجهاً لوجه من مراقب الإخوان السَّابق ونائب المراقب الحالي علي صدر الدِّين البيانوني، وهو يقرأ مذكرة جماعته في شأن ما بعد النِّظام السُّوري، بأن ليس هناك أي ردة فعل ضد العلويين، فهم مواطنون سوريون، ولا يتحملون وزر النِّظام، وشخصه بنظام البعث لا العلوي أو النُّصيري، وأكثر من هذا قال الدَّولة المرجوة بسورية دولة مدنية، لا تميز بين السُّوريين في الدِّين والمذهب والقومية، وأن الولاية العامة أي رئاسة الدَّولة من حق الجميع عبر صناديق الانتخاب[1].

لقد تفرع النُّصيريون العلويون من المذهب الإمامي، وظلوا إماميين جعفريين، هذا ما يصرح به فقهاؤهم وكُتابهم، يتقيدون بالأُصول والفروع نفسها، لكن شأناً سياسياً خاصاً بملء فراغ

(1) مداخلته في ندوة المركز العربي للأبحاث بالدوحة (6 - 8 أكتوبر 2012).

الإمامة فصلهم عن الجعفريين، ذلك ما ظهر بمقالة أبي شُعيب محمد بن نُصير النّميري (ت 270 هـ) بسامراء، عندما أعلن هو الباب، وأن وكالة المهدي المنتظر به لا بالسَّفراء الأربعة حسب مقالة الجعفرية. في حين أعلن الآخرون (نحو 260 هـ) أنها تُشغل بالسُّفراء. عرفت هذه الجماعة من قِبل خصومهم مِن مؤرخي الملل والنِّحل، في ما بعد، بالنّصيرية، ثم اشتهروا في العصر الحديث بالعلويين، مع قولهم بأن اسمهم المضاع قد عاد إليهم، وهو اسم فيه إشكالية مثلما سنرى. فسلسلة الأئمة وأبوابهم حسب مصدر علوي: تبدأ بعلي وبابه سلمان الفارسي، وتنتهي بالحسن العسكري وبابه النّميري (الطّويل، تاريخ العلويين).

انتقل النشاط مِن سامراء وبغداد إلى الشَّام، وتسرب إلى تركيا بين الكُرد والترك. لم يبق بالعراق إلا عائلات محدودة، بعد أن كان النُّصيريون يشغلون محلة السّراي بعانة غربي العراق. إذ بلغ عددهم فيها نحو الستمئة ظلوا يمارسون عقائدهم بسرية، ولهم اتصال بنصيرية سورية، على حد عبارة الكرملي: «ذكر لي ثقات» أن لهم وجود آنذاك بمنطقة تلعفر بين سنجار والموصل، حسب ما ورد في مجلة «لغة العرب»[1].

وأقدم من هذا قد يتوهم البعض أن الذين ذكرهم ابن الأثير

---

(1) باب أسئلة وأجوبة، مجلة لغة العرب، الجزء السادس، المجلد الخامس، السنة الخامسة، ص 368، والجزء السابع، ص 432.

(ت 630 هـ) في حوادث السَّنة (494 هـ) على أنهم العلويون أو النَّصيريون، الذين أشار إليهم بالباطنية، إنما على ما يبدو كان يقصد الإسماعيلية – النَّزارية أصحاب حسن الصَّبَّاح (ت 518 هـ)، أو توهم بمقالتهم فنسب ما للإسماعيلية إليهم. فربَّما شهرة الإسماعيلية آنذاك جعلت الأمر يلتبس على المؤرخين أو الرُّواة في شأنهم، وإلا فعانة معروفة بوجود النُّصيرية لا الإسماعيلية، ومنهم الشَّاعر اليساري المعروف رُشدي العامل (ت 1991)، ووزير النَّفط والقيادي البعثي تايه عبدالكريم، هذا ما نعلمه على السّماع مِن أهل الثِّقة.

نعود إلى رواية ابن الأثير، وهو يأتي بأخبار الباطنية أي النَّزارية الذين عرفوا بالحشاشين خطأً: «كان أهل عانة نسبوا إلى هذا المذهب قديماً، فأُنهي حالهم إلى الوزير أبي شجاع أيام المقتدي بأمر الله»[1]. فيحصل مثل هذا الخلط بسبب أن مصطلح الباطنية جامع لعدة فرق، ومنها الفرقة التي هي موضوعنا.

ينفي علماء العلوية الإشاعات عن طائفتهم، وأنهم مثل الشِّيعة الإمامية أصل مذهبهم هو جعفر الصّادق (ت 148 هـ)، وقيل مِن قبل حصل اتصال بينهم وبين المرجعية الشيعية بالنَّجف، وعلماء جبل عامل، ومنهم السَّيد عبدالحسين شرف الدِّين (ت 1957)، صاحب كتاب «المراجعات»، وهو عبارة عن الرَّسائل

(1) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ 10 ص 323.

المتبادلة بينه وبين شيخ الأزهر في زمانه الشَّيخ سليم البشري (ت 1916).

نقول مع اعترافنا بتوظيف الطَّائفية في السِّياسة: إن ما حدث بالمنطقة من تغييرات حادة، أدت إلى سقوط حاكمين واعتلاء آخرين، والسجان دخل السجن وجلس السجين على كرسي الحكم، وهذه المشاهد تكفي السوريين للتطلع إلى الانعتاق من هيمنة الحزب الواحد ودولة الأجهزة الأمنية، فثاروا.

لا نظن أن الأمر جاء بدعوى التخلص من العلويين إنما التخلص من الحكم. فما يحصل، في الحقيقة، ليس مقابلة بين طائفتين، سُنَّية وعلوية نُصيرية، إنما بين نظام ومعارضة. غير أن هناك وسائل إعلام أخذت تنتبه وحلت تسمية النظام «الأسدي» والقوات «الأسدية» محل العلوي والعلوية أو النُّصيري والنُّصيرية، على منوال ما حصل بالعراق وأخذ يوصف النِّظام السابق بالصَّدامي، وكان بالفعل هكذا، لشدة هيمنة رئيسه عليه.

نحاول في هذا الكُتيب رصد الحالة النُصيرية العلوية، منذ التأسيس، وكيف تم الانشقاق عن الشيعة الإثني عشرية، وعلى ماذا اعتمد الذين كتبوا ما لا يرتضيه العلويون، وكيف قامت لهم دولة، ثم انتهت خلال ستة عشر (1920-1936) عاماً بالذَّوبان بالدَّولة السُّورية، وكيف أن العلويين أنفسهم طلبوا الوحدة مع سورية بعد اعتراضاتهم على الإدارة الفرنسية. لا ينتظر منا أن نكتب في

عقائدهم، فالمصادر المعتدلة تنفي أوهام ما كُتب عنهم، ورجالهم يصرون أنهم شيعة جعفرية، وعقائد الشِّيعة معروفة لدى الجميع.

كانت «مجلة المجلة» كلفتني في بحث عن العلويين، من النَّواحي كافة، على أن لا يقل عن ثلاثة آلاف كلمة ولا يزيد على أربعة، لكن موضوعا مثل هذا يغري الباحث، وتنهال عليه الأسئلة الحائرة، التي تحتاج إلى إجابات، وأهل المذهب قد ظلوا لفترة طويلة صامتين صمتاً مطبقاً، لا يذبون عن مذهبهم بالرَّد على الآخرين، فليس بينهم مَن يقدر على ذلك.

طائفة قلَّ ما كُتب لصالحهم، بينما كثر ما كتب ضدهم، فتوسع البحث ليكون هذا الكتيب، أما حصة المجلة فنشرت ملخصاً مكثفاً مما هو بين أيديكم. مع عدم الرواء من البحث، والعذر للاختصار، فقد شعرت أن المصادر لا تعين على المزيد، ومضارب الطَّائفة أبعد ما تكون عني.

تجدنا نسميهم نُصيريين علويين، أو نُصيرية علوية، أو واحداً من الاثنين، فهذا ما نراه واقعاً، فيصعب فك ارتباط تاريخهم بأبي شُعيب محمد بن نُصير النَّميري، فلولاه ما كانت هذه الطَّائفة، ولا كتبوا ولا كتبنا، وضُربت الأسداس بالأخماس في ماضيهم وحاضرهم. نُقدر ما إصرارهم على تسميتهم بالعلويين لكنها الحقيقة.

الفصل الأول

الافتراق عن الجعفرية

بعد الغيبة بسامراء:

نُسبت طائفة النُّصيريين العلويين إلى مؤسسها المفترض محمد بن نُصير النّميري (ت 270 هـ)، على أنه كان باب الإمام الحسن العسكري (ت 260 هـ)، وعندما نطالع أمهات كتب الملل والنِّحل عن هذه الشَّخصية، من مصادر شيعية وسُنَّية، نجدها تتفق كافة على الموقف السِّلبي منه. فهو: صاحب فرقة غالية من القائلين بإمامة علي بن محمد الهادي (ت 254 هـ)، أصحابه قالوا بنبوته، وإنه كان يقول بالتناسخ والغلو في الإمام المذكور، فسميت جماعته بالنّميرية[1]، أو أنهم فرقة من الغلاة يُقال لها النّميرية قالوا بالحلول وهم أصحاب النّميري، وهو ابن نُصير نفسه[2]، فعُرفت بالنُّصيرية، وهنا التَّسمية جاءت نسبة إلى أبيه نُصير.

فإذا نسبت إليه كانت المحمدية، وفيها ورطة للآخرين، لأن الفكر يذهب إلى النَّبي مباشرة، فيأتي الاسم مدحاً لا قدحا، وهذا ما كان مع جماعات أخر في الفقه والفكر الإسلاميين، تم فيها تجاوز الاسم الأول إذا كان اسمياً للنَّبي إلى اسم الأب أو اللقب، فصارت مثلاً النَّميرية.

---

(1) النوبختي، فرق الشِّيعة، ص 93-94.

(2) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص 14.

اعتبر شيخ الطَّائفة الإمامية في زمانه محمد بن الحسن الطُّوسي (ت 460) ابن نُصيَّر من المذمومين الذين ادّعوا البابية والسَّفارة للمهدي المنتظر كذباً، و«يدعي أنه رسول نبي، وأن علي بن محمد (المعروف بالهادي) عليه السَّلام أرسله»[1]. ومِن هنا يفهم الموقف الإثني عشري أو الجعفري مِن جماعة النّميري، الذين عرفوا بالنّصيرية.

أما المحسوب كأحد الأصول عند النُّصيرية الحسين بن حمدان الخصيبي (ت 334 هـ)، وهو قد عاش قبل الطُّوسي بنحو مئة عام، أفصح عن بابية ابن نُصير للإمام الحسن العسكري الحادي عشر وولده محمد المهدي، ومنزلته المتقدمة عند الأئمة، نفهم هذا مِن روايته الآتية: «حدثني أبو جعفر محمد بن الحسن، قال: اجتمعت عند أبي شعيب محمد بن نُصير البكري النَّمري، وكان باباً لمولانا الحسن، وبعده رأى مولانا محمد (عليهما السَّلام) مِن بعد عمر بن الفرات... فشكونا إلى أبي شعيب وقلنا ما ترى إلى ما قد نزل بنا مِن عدونا هذا الطَّاغي المتوكل[2] على سيدنا أبي الحسن[3] (عليه السَّلام)، وعلينا وما نخاف مِن شره وإنفاذه إلى إبراهيم الديدج[4] بحفر قبر أبي عبدالله الحسين بن علي (عليه السلام) بكربلاء. فقال أبو شعيب: السَّاعة تجيئكم رسالة

---

(1) الطُّوسي، كتاب الغيبة، ص 398.

(2) يقصد الخليفة جعفر المتوكل (قُتل 247 هـ).

(3) المقصود الإمام العاشر علي بن محمد الهادي والد الحسن العسكري.

(4) أحد قادة المتوكل.

مِن مولاي...»[1]. لا يهمنا ما هو الحدث بقدر ما تهمنا الإشارة إلى بابية ابن نُصير للأئمة.

يأتي محمد بن عبدالكريم الشَّهرستاني (ت 548 هـ) بخبر فرقتي «النُّصيرية» و«الإسحاقية» على أنهما من مشبهة الشِّيعة، ومِن جملة غلاتهم، ويقولون: إنه ليس هناك أفضل مِن علي بن أبي طالب، بعد النَّبي، ثم أولاده «فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم»[2]. على أن النُّصيرية نسبة لابن نصير المذكور لا سواه، على حد اطلاعنا، وإلا فالشَّهرستاني لم يذكره بالاسم وهذا مما أعطى بعض الباحثين أن يُبعدوا النَّميري عن هذه الطَّائفة. ولعل أول مَن أشار إليه بالغلو والكذب هو الطُّوسي مرجع الإمامية في زمانه، وإليه يرجع فضل تأسيس الحوزة الدِّينية بالنَّجف العام 448هـ.

ذكرهم ابن حزم الظَّاهري (ت 456 هـ): «مِن السَّبئية القائلين بإلهية عليٍّ طائفة تدعى النُّصيرية، وقد غلبوا في وقتنا هذا على جند الأردن بالشَّام وعلى مدينة طبرية خاصة»[3]. يعني بالسَّبئية الجماعة المنسوبة إلى الشَّخصية الوهمية أو المختلقة عبدالله بن سبأ، وقد أتينا على شرح حال هذه الشخصية في أكثر

---

(1) الخصيبي، الهداية الكبرى، ص 323.

(2) الشَّهرستاني، الملل والنِّحل 1 ص 181.

(3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنِّحل 3 ص 122.

مِن مقال وكتاب[1].

جرياً على ما جاء به الأولون يذم ابن أبي الحديد (ت 656 هـ) ابن نُصير قائلاً: «تولدت مِن هذه المذاهب القديمة، التي قال بها سلفهم، مذاهبَ أفحش منها. قال بها خلفهم، حتى صاروا إلى المقالة المعروفة بالنّصيرية، وهي أحدثها محمد بن نصير النّميري، وكان مِن أصحاب الحسن العسكري عليه السَّلام... فلما مات (الحسن) ادعى وكالة لابن الحسن، الذي تقول الإمامية بإمامته، فضحه الله تعالى بما أظهره مِن الإلحاد والغلو، والقول بتناسخ الأرواح. ثم ادعى أنه رسول الله ونبي مِن قِبل الله تعالى، وإنه أرسله علي بن محمد بن الرِّضا وجحد إمامة الحسن العسكري وإمامة ابنه وادعى بعد ذلك الرُّبوبية، وقال بإباحة المحارم»[2]. هذا ما ظل يتداول في شأنهم في العصر الحديث، وما تأسس من مقالات ضدهم يصعب تصديقها. انظر ما نقلناه مثلاً عن مجلة لغة العرب (1927) في الصَّفحات القادمة.

لكن هل أن النُّصيرية نسبة إلى هذا ابن نصير، الموصوف بهذه الأوصاف، بينما هم «العلوية»؟! أم أن لهم شأناً آخر؟! ما يغلب على الظَّن أن الخلاف، الذي أساسه سياسي، وهو كيفية معالجة، أو ملء فراغ الإمامة بعد وفاة الحسن العسكري، قاد إلى محاولة تسقيط النَّميري، مثلما جرى محاولة تسقيط جعفر بن علي الهادي

---

(1) راجع منها: الأديان والمذاهب بالعراق، الفصل الخاص بالشِّيعة.

(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة 8 ص 71.

(ت 271 هـ)، وهو أخو الحسن العسكري، وذم بأرذل الذَّم، فحتى هذه اللَّحظة يُطلق عليه نعت: «جعفر الكذاب»! بينما هو ابن إمام وأخو إمام، والسؤال: ألا يصيب جعفر هذا شيء من الكرامة إذا لم يكن مِن المعصومية والقداسة، أليس هو مِن نطفة معصومة حسب التَّصور الشِّيعي الإمامي؟!

نعت بالكذاب بتهمة أنه أخبر خليفة زمانه ضد أخيه العسكري وابن أخيه المهدي المنتظر وادعى بالإمامة وتبعه أتباع. فحينها صارت الجعفرية، نسبة إلى الإمام جعفر الصَّادق، ثلاثة أحزاب: الإمامية المعروفة، النُّصيرية البابية أصحاب باب الإمام العسكري ابن نُصير النّميري، وأصحاب جعفر أخي الإمام[3] المتهم بالاستحواذ على تركة أخيه الإمام، وتحريض السُّلطان على حبس جواري أخيه الحسن واستبدالهنَّ بالاستبراء مِن الحمل «ليتأكد نفيه لولد أخيه وإباحته دماء شيعتهم»[4]. كان هذا الحال مع أخي الإمام، فكيف يكون مع ابن نُصير النّميري الزاعم أنه بابه؟!

يقرُّ النُّصيريون ببابية النّميري، هذا ما يذكره أحد المعتبرين مِن علمائهم القدماء الحسين بن حمدان الخصيبي (ت 334 هـ)، في سرده لقصة المهدي المنتظر بأن الإمام جعفر الصَّادق (ت 148 هـ) قال عندما سأله محمد بن المفضل عن اتصال المهدي: «يا

---

(3) النوبختي، فرق الشِّيعة، ص 95.

(4) الطُّوسي، كتاب الغيبة، ص 84.

سيدي فمَن يخاطبه ولمَن يُخاطب؟ قال الصَّادق: محمد بن نُصير في يوم غيبته ...»[1].

كذلك يأتي الخصيبي بابن نُصير (ت 270 هـ) كأحد رواة قصة المهدي عندما يقول: «حدثني محمد بن إسماعيل وعلي بن عبدالله الحسنيان عن أبي شُعيب محمد بن نُصير»[2]. فهذا هو السَّند النُّصيري العلوي بوجود محمد بن نُصير، الذي عُرفت الطَّائفة باسمه. شأنهم شأن الإباضية مع عبدالله بن إباض التميمي (ت نحو68 هـ)، لكن هؤلاء لم يحاولوا التَّبرء أو التخلي مِن هذه النِّسبة، على الرَّغم مِن أنها فرضت عليهم.

جاء في أحد مصادرهم: «لما رأوا منا موافقة عبدالله بن إباض في إنكاره على مَن يسمونهم أمير المؤمنين أضافونا إليه وأطلقوا علينا اسم الإباضية نسبة لأبيه إباض، لأن عبدالله كان على وتيرة أبيه، وكان أبوه أشهر منه فلذلك سموا هذه الأمة بذلك، فتراهم إذا ذكروا الحوادث المذهبية، وجاء منها على منهج هذا الفريق، قالوا ذلك للإباضية أو هو قول الإباضية، فشاعت تلك التسمية شيوع هذه الأمة»[3].

لكن العلويين النُّصيريين يجدون بقبول التَّسمية نسبة إلى ابن نُصير يبعدهم عن الإمامية؛ ناهيك عن موقف السُّنَّة منه،

---

(1) الخصيبي، الهداية الكُبرى، ص 397.

(2) المصدر نفسه، ص 392.

(3) السمائلي، إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، ص50.

وما قيل عن غلوه في صاحبهم بعلي بن أبي طالب، وهو لا يُخفى في القصص التي يأتي بها الحسين بن حمدان الخصيبي. وإن نافحوا الإمامية وقالوا: نحن الأصل فهذا أيضاً يقصيهم عن علويتهم المفترضة وبالتّالي سيجتمع ضدهم السُّنَّة والشِّيعة. لذا تجدهم يحاولون إلغاء ذلك الحدث الخطير في تاريخ الإمامية، والرّجوع إلى ما قبله. أما مراجع الإمامية المعاصرون فيجدون بعودة الفرع إلى الأصل توسعاً في الوجود الإمامي الشِّيعي، إذا نفض النُّصيريون ذلك الحدث من تاريخهم.

كذلك جاء ذكر الأبواب عبر أول كتاب يصدر من أحد أبناء الطَّائفة النُّصيرية العلوية العارفين؛ وهو محمد أمين الطَّويل[1]، ولم يعترض عليها الشَّيخ عبدالرَّحمن الخيِّر وهو أحد علماء الدِّين العلويين، مثلما اعترض في تقديمه لكتاب الطَّويل على العديد من معلوماته. على أساس أن النّميري كان باب الإمام الحادي عشر الحسن العسكري بسامراء، وبعد وفاة الأخير استمر باباً لولده محمد المهدي المنتظر، ويدير شأن الإمامة عند غيبته.

في هذه الفاصلة يفترق العلويون أو النُّصيريون عن الشِّيعة الجعفرية أو الإثني عشرية، فهؤلاء لم يقروا بمركز البابية في أن يحل محل الإمامية، وقد كذب هذا الادّعاء شيخ الطَّائفة الطُّوسي(ت 460 هـ) مثلما تقدم، ويكذبه أيضاً المجلسي (ت 1699) مثلما

---

(1) الطَّويل، تاريخ العلويين، ص 255 وما بعدها.

سنرى. فالمعروف في تقاليد الإثني عشرية، أو الجعفرية، أنهم حلوا مسألة الغيبة أو انقطاع الإمامة بابتكار مركز السَّفير مع الغائب، وسفراء الغيبة الصُّغرى أربعة هم: العمري، وولده محمد، والنّوبختي والسَّمرُّي.

ناهيك عن أن علماء من الإمامية، والتي يسميها كامل مصطفى الشّيبي (ت 2006): بالشِّيعة المعتدلين[1]، لهم رأي سلبي في الفرق الشِّيعية الغلاة لا يقل عن رأي علماء السُّنَّة فيهم، فهذا الشَّيخ الصَّدوق القمي (ت 329 هـ)، وهو أحد أبرز علماء الإمامية الإثني عشرية، وفي زمانه كثر الغلاة واضطربت الأحوال: «اعتقادنا في الغلاة والمفوضة إنهم كفار بالله جل اسمه وإنهم أشهر من اليهود والنَّصارى والمجوس والقدرية والحرورية، ومن جميع أهل البدع والأهواء المُضلة ...»[2]. ومعلوم أن النُّصيرية، حسب ما تقدم في صاحبهم يُعدون من الغلاة. عندها يأتي أصحاب الحروفية ويعتبرون الشيعة المعتدلة، على مثال الصَّدوق، مرتدين كفاراً وظاهريين قشريين، فيخاطبونهم قائلين: «ماذا دهاك أيها الشِّيعي، لِمَ غدوت مرتداً كافراً»[3].

---

(1) الشّيبي، الصِّلة بين التَّصوف والتَّشيع 1 ص 157.

(2) المصدر نفسه 2 ص 211.

(3) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ 3 ص 404.

دامت سفارة الأربعة[1] من حدوث الغيبة الصُّغرى السنة (260هـ)، وحتى وفاة السَّمرُّي السَّنة (326هـ أو 329هـ). وذكر محمد باقر المجلسي عدداً من السُّفراء، الملفقين حسب رأيه، ويأتي في المقدمة محمد بن نُصير النّميري المنافس لأول سفير عند الجعفرية عثمان بن سعيد العمري، وظل ينافس ابنه أبا جعفر محمد بن عثمان. وقد نُعت النّميري من قبل السَّفير الإمامي الثَّالث ابن روح بالغلو وتحليل المحرمات[2]. أطلق الشِّيعة على عثمان العمري لقب الشَّيخ الموثوق به، وذلك تكذيباً لمنافسه النّميري، وهذا يشير إلى قوة جماعته على ما يبدو. تلك هي لحظة الافتراق بين الجعفرية والنُّصيرية العلوية، والمسألة سياسية حركية قبل أن تكون دينية عقائدية.

---

(1) عثمان بن سعيد العمري الأسدي (ت 280هـ)، والمعروف بالسَّمان، نسبة إلى امتهان تجارة السَّمن، وهو أول مَنْ جُمعت لديه الأموال من الشِّيعة تحت عنوان حصة الإمام، وكانت تأتيه في ظروف السَّمن خشية من السُّلطة، ليوصلها بدوره إلى الإمام الغائب، وهناك مَنْ قرأ على ضريحه ببغداد قريباً من دجلة عبارة: «هذا قبر كناس (منظف) النبي». أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري (ت 305هـ) المعروف بالشَّيخ الخلاني قبره بالجامع المعروف برصافة بغداد، على شارع الجمهورية، وقيل عُرف بالخلاني لمهنته في تجارة الخل، يكسب به، وقيل يتستر بها من عيون السُّلطة آنذاك. أبو القاسم حسين بن رَوح النويختي (ت 326هـ 937 ميلادية)، له ضريح يُزار ببغداد الرصافة، ويُنقل أنه طرد بواباً لديه بسبب شتم معاوية بن أبي سفيان، وقبل سفارته للغائب كان وكيلاً لدى السفير الثالث لسنوات طويلة. أبو الحسن علي بن محمد السيمري (ت 329 هـ 939 ميلادية)، ضريحه ببغداد الرصافة، بسوق هرج المعروف، بمسجد القبلانية، ولعله الذي ورد اسمه وابنته في محاكمة الحلاج (راجع التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة 6، ص 81). وبوفاة الأخير غاب الإمام المهدي غيبته الكبرى، يُنتظر ظهوره حتى هذه الساعة (راجع: حرز الدِّين، مراقد المعارف 2 ص 61، و1 ص 278 و ص 249 و375).

(2) المجلسي، بحار الأنوار 51 ص 367.

قلنا حسب النّصيريين إن لكلِّ إمام باباً، تيمناً بالحديث النَّبوي: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب»[1]. ويبدو أن مركز الباب أعلن كمقالة بعد وفاة الإمام الحادي عشر الحسن العسكري، فهو آخر إمام يحتفظ بباب له. وبابه، حسب الاعتقاد النُّصيري العلوي هو أبو شُعيب محمد بن نصير النّميري، مثلما تقدم.

فسلسلة الأئمة وأبوابهم مثلما وردت في مصدر علوي: علي بن أبي طالب وبابه سلمان الفارسي، والحسن بن علي وبابه قيس السفينة، والحسين بن علي وبابه رشيد الهجري، وعلي بن الحسين وبابه عبدالله الكابلي المعروف بكنكر، ومحمد بن علي الباقر وبابه يحيى بن أم طويل، وجعفر بن محمد الصادق وبابه جابر الجعفي، وموسى بن جعفر الكاظم وبابه محمد الكاهلي، وعلي بن موسى الرضا وبابه المفضل بن عمر، ومحمد بن علي الجواد وبابه محمد بن المفضل، وعلي بن محمد الهادي وبابه عمر بن الفرات الكاتب، والحسن العسكري وبابه أبو شعيب محمد بن نُصير[2].

ظل النّميري موصوفاً بالبابية على الدَّوام بما يقابل غيبة

---

(1) الهندي، كنز العمال11 ص600. وورد بصيغ أُخر: «أنا مدينة الجنة...»، و«أنا مدينة الحكمة...»، و«أنا خزانة العلم...»، و«أنا دار الحكمة...»، راجع مستدرك الحاكم، وسنن الترمذي وصحاح البغوي.

(2) الطويل، تاريخ العلويين، ص255-254. عبدالحميد الدجيلي، كتاب مجموع الأعياد والطريقة الخصيبية، مجلة المجمع العلمي، المجلد 4 الجزء1 السنة 1956).

الإمام، وإذ ملأ الجعفرية غياب الإمام وانتهاء دور السُّفراء الأربعة بعد إعلان الغيبة الكبرى بالمراجع الوكلاء، فبعد وفاة النّميري حلَّ عند النُّصيريين العلويين مراجع يختصون بالطَّائفة النّصيرية، مثل: عبدالله الجنبلاني المتوفى 287 هـ[1] زعيماً، ثم الحسين بن حمدان الخصيبي(ت 334 هـ)، الذي رسخ الطَّائفة عقائدياً وفكرياً. ومن شخصياتهم أيضاً أبو سعيد ميمون بن قاسم الطَّبراني، الذي حول مركز العلويين إلى اللاذقية، صاحب كتاب «مجموع الأعياد والطَّريقة الخصيبية». وظلت منذ ذلك الحين وإلى الآن ذات صبغة نصيرية علوية، بعد أن كانت حلب المركز العلوي بالشَّام، هذا ما قرأناه في مقال عن كتاب الطَّبراني «الأعياد».

أهم مؤلفات الشَّيخ الخصيبي: «الهداية الكبرى»، و«المائدة»، و«كن مستقيماً». وحسب الطَّويل في «تاريخ العلويين»، كتبها بلا اعتماد على مصدر، أهدى الخصيبي كتاب «الهداية» إلى سيف الدَّولة الحمداني بحلب، و«كن مستقيماً» أهداه إلى عضد الدَّولة البويهي ببغداد، وله كتاب آخر يدعى «راسباش» أهداه إلى عضد الدَّولة.

وردت في الكتب، المفترضة أنها مهداة للحاكمين المذكورين، وصايا سياسية لتحقيق العدالة الاجتماعية، بعد أن جعلهما الخصيبي من وكلائه السياسيين، إلى جانب الوكلاء الدِّينيين

---

(1) الطَّويل، المصدر نفسه، ص 256.

كالجسري والطرسوسيين: الكبير والصَّغير والجلي. وأن الشَّيخ الخصيبي اعتُقل بتهمة الانتماء إلى الحركة القرمطية الناشطة في عصره. على أن هؤلاء الحكام هم مِن العلويين ووكلاء للخصيبي كافة[1]. لا نؤكد ولا ننفي هذه المعلومات، فربما استقاها الطَّويل مِن مصادر علوية خاصة، فكتابه كاملاً جاء بلا إحالات.

على ما يبدو فسح الشَّيخ الخصيبي في كتاب «الهداية الكبرى» المجال لنعت طائفته بالعلي إلهية، بل جاء في العجيب والغريب في شأن الأئمة. فلعلي بن أبي طالب، حسب الكتاب المذكور، ثلاثمئة اسم في القرآن. ومن ألقابه الإلهية: أمير المؤمنين، أمير النَّحل، الوصي الإمام، الخليفة، سيد الوصيين، الصديق الأعظم، الفاروق الأكبر، قسيم الجنة والنَّار، قاضي الدين، راجع الرجعات، وغيرها[2].

كان كتاب الخصيبي، وهو المعدود مِن سلسلة علماء النُّصيريين العلويين، مملوءًا بالغلو إلى حد الخرافة، ومَن يقرأه لا يستغرب ما جاء في كتاب المجلسي «بحار الأنوار» مِن الغث، بل إن في كتاب الهداية ما استفاد منه، على ما يبدو، العهد الصَّفوي، مِن قضية اللِّعن للخليفة عمر بن الخطاب (اغتيل 23 هـ)، ويسرد بعجائبية العلاقة بين النَّبي محمد والإمام علي بن أبي طالب:

---

(1) المصدر نفسه، ص 295 - 260.

(2) الخصيبي، الهداية الكبرى، ص 91-93.

بأنهما وجدا قبل أن يُخلق آدم، وكانا نطفتين تداولتهم ظهور الأنبياء والمقدسين حتى صارا في ظهري ابني عبد المطلب بن هاشم: عبد الله وعبدمناف المعروف بأبي طالب، وكانا يتحدثان وهما في ظهريهما، ثم يتحدثان ويتصلان مع بعض وهما في رحمي والدتيهما.

إن علياً بن أبي طالب- حسب الخصيبي- لديه علم الله والنُّبوة، وكشف لمجموعة من أصحابه الجنة والنَّار، ولأن ذلك أكبر مما يُصدق فعادوا كافرين، وأن أبا بكر حاول إعلان خطأه في سلب الخلافة من علي لكن الشَّيطان منعه، ومَن هذا الشَّيطان هو عمر بن الخطاب. بينما كان علي بن أبي طالب قاضياً أثناء خلافة عمر[1].

تحدث الخصيبي عن جعفر الصَّادق، وكيف أن ناقته تحولت كالبراق الذي أسرى به النَّبي إلى القدس، في خلال سبعة ساعات زار على ظهرها مكة والمدينة والقدس، وعاد وزار قبر علي بن أبي طالب غربي الكوفة، وكانت أسرع من الرِّيح بل تحلق في الفضاء، وهو فوق ظهرها مع أحد أصحابه، وكان يتقصد أخذه معه كي ينقل للآخرين ما شاهد بأم عينه.

أما في فصل المهدي المنتظر، وهو الفصل الأخير من الكتاب فجاء بأخبار يصعب حتى تخيلها، وهي عند خروجه يأتي إلى

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ 2 ص 449.

المدينة، ويُخرج الخليفتين من قبريهما، وهما إلى جانب الرَّسول، ويصلبهما ويحرقهما، ثم يأتي بالخلفاء والسَّلاطين واحداً واحداً يحاكمهم على ما فعلوه بأجداده، وأن الأئمة لا تولدهم القوابل، ولا يُغسل الإمام غير الإمام، فالثاني عشر غاب ولم يمت. أما الملائكة ومنهم جبرائيل فما هم إلا خدم للأئمة، وإن الكون ما خُلق إلا لوجودهم، وحتى آدم لم يخلق إلا سبباً لظهور الأئمة، فهم موجودون قبل الخلق[1].

عندما يأتي الخصيبي بلقب أمير المؤمنين بلا اسمه يُفهم منه أنه يقصد علي بن أبي طالب بينما عندما أتى على باقي الأئمة يسميهم بأسمائهم. وفي هذا بطبيعة الحال تأكيد بأن إمارة المؤمنين، وهو لقب ظل متداولاً حتى نهاية الدَّولة العباسية، حُصر في علي بن أبي طالب فقط، وبهذا ليس هناك اعتراف بقصة «لقب أمير المؤمنين» الذي أُطلق على الخليفة عمر بن الخطاب (اغتيل 23 هـ)[2]، أجدها قصة منطقية وخياراً سياسياً مفهوماً جداً، والشِّيعة على العموم لم يتعاملوا باسم الخليفة.

بالمقابل هناك مبالغة من قبل مؤرخي السُّنَّة في عمر بن الخطاب عندما يُقال: إن «ما قال النَّاس في شيء، وقال عمر بن

---

(1) انظر: الخصيبي، الهداية الكبرى، باب الثاني باب أمير المؤمنين: ص91 – 180 و باب الباب 14 باب الإمام المهدي المنتظر: ص 353 – 437.

(2) انظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك 3 ص 584.

الخطاب إلا جاء القرآن نحو ما يقول»[1]. ومثل ذلك ورد في الرِّواية: «كان عمر إذا رأى رأياً نزل به القرآن»[2]. مع الاختلاف في درجة المبالغة، ولو أن الأمر صار معكوساً، ولو أن عمراً هو الذي سُب ولعن على المنابر، وتعرض أولاده وخاصته إلى القتل وصاروا ثائرين في الزَّمن الأموي والعباسي لرُفع فوق البشرية وقُدس مثل ما حصل مع علي. وكم هي المفارقة بين بساطة علي وبين المبالغة والغلو فيه.

غير أن أحد شيوخ العلويين المتأخرين برر المحبة المفرطة بالقول: «عُرفت العلوية لفرط حبها ومفاداتها لعلي وصدق عواطفها له في مواقفه الحربية والدينية. والفرقة العلوية، والتي هي أقل عدداً من سواها، أكثر فرق الشيعة حباً وولاءً لعلي وأهل بيته، بل لا نغالي إذا قلنا أن حبها هذا كان ضرباً من ضروب العبادة»[3].

يذكر محمد كرد علي إجابة شيخ النُّصيريين العلويين في حينه سليمان أحمد سليمان على استفساره منه عن أصل طائفته؛ قائلاً: «لا فرق بينهم وبين الإمامية إلا بما أوجبته السِّياسة والبيئة وعادات العشائر التي توارثها سكان الشَّام؛ كثر النَّاس اختلافاً وأقل ائتلافاً، إذا شيخ مذهبهم الذي ينتمون إليه الخصيبي من رجال الإمامية... إنما لهم طريقة كالنَّقشبندية والرِّفاعية وغيرها

---

(1) ابن عساكر، تاريخ دمشق 44 ص 111.

(2) المصدر نفسه، ص 114.

(3) الخيِّر، مجلة الأماني السُّورية، السَّنة 1931.

مِن الطُّرق الصُّوفية بالنِّسبة لأهل السّنَّة، وهذا مصدر التَّقولات الباطلة عليهم، وما أُبرئ جهلتهم مِن كلِّ ما يُقال»[4]. ويقصد في السياسة، على ما فهمنا، لحظة الانشقاق والاختلاف مع الإمامية على ملء الفراغ بعد موت الحسن العسكري ثم غياب الإمام المهدي المنتظر.

أما الطَّويل فيقول: إن ما يميز عن الجعفرية هي الطَّريقة الجنبلانية، نسبة إلى الرَّجل الثَّاني عبدالله الجنبلاني بعد النّميري، وهذا ليس فرقاً مذهبياً[5]. ويركز كثيراً صاحب «تاريخ العلويين» على الجهل الذي عم الطَّائفة بسبب العزلة والظروف التي عاشتها؛ وهي مطاردة مِن قبل العثمانيين.

على ما يبدو قصد الشَّيخ العلوي عبدالرَّحمن الخيِّر (ت 1986) بعنوان كتابه «عقيدتنا وواقعنا» تبيان الفرق بين العقيدة كونها جعفرية علوية، والواقع الذي يعيشون فيه، فهو لا يتطرق إلى الخلاف مع الشِّيعة الجعفرية، الذي فرضه عليهم عدم أخذهم بتطور الفكرة الجعفرية أو الإمامية بعد وفاة الإمام الحادي عشر، والاعتقاد بغياب ولده المهدي المنتظر إلى وجود سفراء بين الأخير والموالين، ولا يتطرق إلى تأثير الجنبلانية كطريقة صوفية عزلت العلويين أو النّصيريين عن الجسد الشِّيعي الإمامي، إنما عاد إلى

---

(4) علي، خطط الشَّام 6 ص 262.

(5) الطَّويل، تاريخ العلويين، ص 531.

ما قبل ذلك التَّاريخ. بل، لا يتطرق لأبي شُعيب محمد بن نُصير، ولا يذكر خبره. نفهم من هذا وسواه أنهم يحاولون قدر الإمكان نسيان هذه الشَّخصية والحدث أيضاً، فنسيانها، مثلما تقدم، يهمل الحدث نفسه، كي يتم الوصل مع الشِّيعة الإمامية.

موضحاً أنه لم يستجد ما يؤدي إلى الانفصال في فرقة قائمة بذاتها عن الجعفرية، وتشترك فرقته بما يتشارك به الجعفريون مع بقية المسلمين، وهو فريضة الحج، ففي التمهيد أتى بخبر حجه إلى مكة، ومشاركته في المؤتمر الإسلامي بالمغرب العام (1972)، ومع ذلك كان يسمع الآخرين يتحدثون عن فرقته بما بُث من أخبار مطابقة لما جاء في كتاب الباكورة السليمانية مثلاً.

يبدأ كتابه بأن عقيدتهم، كبقية علماء الشِّيعة الذين كتبوا عن طائفتهم، ككاشف الغطاء (ت 1954) في «أصل الشِّيعة وأصولها»، والشَّيخ محمد رضا المظفر (ت 1964) في «عقائد الإمامية»، بأنها عقيدة الإسلام، بداية من القول بالشَّهادة والالتزام بأحكام الدِّين الإسلامي، أما الشَّهادة الثَّالثة «علي ولي الله»[1] فعندهم كما هي

---

(1) الشهادة الثالثة لم يثبتها علماء الشِّيعة في الأذان، فصيغته لدى مؤسس مرجعية النَّجف الشَّيخ أبو جعفر الطوسي (ت 460هـ) كالآتي: التكبير أربع مرات، والشهادتان مرتين مرتين، وحي على الصَّلاة مرتين، وحي على الفلاح مرتين، وحي على خير العمل مرتين، والله أكبر مرتين، ولا إله إلا مرتين (الطوسي، كتاب الخلاف 1 ص 78).

كما هي فصول الأذان ثمانية عشر نفسها لدى المرجع الشِّيعي الإمامي الحالي آية الله السَّيد علي السِّيستاني، مع إشارته إلى أن الشهادة بالولاية «لم تكن جزءاً من الأذان ولا الإقامة، وكذا الصَّلاة على محمد وآل محمد عند ذكر اسمه الشَّريف» (السيستاني، منهاج الصالحين 1 ص 191). أما آية

عند الجعفرية مستحبة وليست واجبة في الأذان، ويعتقدون بأُصول الدِّين كما هي عند الجعفرية تماماً: التَّوحيد والعدل والنُّبوة والإمامة والمعاد[1]، وفي الإمامة يقرون بأحقية علي ثم أولاده حتى الثاني عشر وهو ما زال حيّا مستوراً، عندهم كما هو عند الجعفرية تماماً. والإقرار بفروع الدِّين: الصَّلاة والزَّكاة والصَّوم والحج والجهاد، ويقرون بزواج المتعة[2].

يأتي الخصيبي بشروط المتعة، وهي ألا يكون من نكاحها ولد، ويجوز فيها العزل، بينما في الزَّواج الدَّائم لا يجوز، ويروي عن جعفر الصَّادق عن النَّبي أنه قال: «إن الله أخذ الميثاق على ماء أوليائه

الله الخميني (ت 1989)، ونذكره كونه مؤسس دولة إسلامية، فلا يذكر تفاصيل صيغة الأذان من الأساس، على اعتبار أنه ليس من موجبات الصَّلاة، قال: «لا إشكال في تأكد استحبابهما للصلوات الخمس» (الخميني، تحرير الوسيلة 1 ص 132 المقدمة الخامسة في الأذان والإقامة).

يدل مما تقدم أن علماء الشِّيعة لم يسايروا ما أدخله العهد الصَّفوي (1501 - 1732) على صيغة الأذان، وهي الشَّهادة الثَّالثة، التي أعلنها إسماعيل الصَّفوي عند دخوله تبريز، العام 907 هـ 1502 ميلادية (الشِّيبي، صلة التصَّوف بالتَّشيع 2 ص 372، وتيرنر، التَّشيع والتَّحول في العصر الصفوي، ص 95). ولا يُعد ما ورد في «بحار الأنوار»، لأبرز فقهاء العهد الصفوي، المجلسي، معتبراً لدى أساطين المرجعية، وروايته، في قصة خيالية، عن الجزيرة الخضراء، وذلك عندما زار أحدهم قرية بغية الوصول إلى تلك الجزيرة، وأنه قدمَ مذهبه لهم بالشَّهادتين فقالوا له: «لم تنفعك هاتان الشَّهادتان ... لم لا تقول: الشَّهادة الأخرى لتدخل الجنَّة بغير حساب»(المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار 52 ص 162 - 163).

ويبدو أن الشهادة الثالثة قد حلت في العهد الصفوي رسمياً، وإلا كانت ترفع هنا وهناك، مثلاً يروي ابن بطوطة عن أهل القطيف، وهي منطقة شيعية منذ القدم، قائلاً: «يقول مؤذنهم في أذانه بعد الشهادتين: أشهد أن علياً ولي الله» (الرحلة، ص280).

(1) الخيِّر، عقيدتنا وواقعنا، ص 20-21.

(2) المصدر نفسه، ص 27.

المؤمنين لا يُعلق منه فرج من متعة، وإنه أحد محن المؤمن الذي تبين إيمانه من كفره إذا عَلق منه فرج من متعة»[1]. بل أكثر من هذا نقل عن النَّبي إنه قال: «ولد المتعة حرام وأن الأحرى للمؤمن لا يضيع النُّطفة في فرج متعة»[2].

لا نعلم إذا ما كان النَّصيريون العلويون يتقيدون بما أتى في كتاب الخصيبي بشأن المتعة، فإذا كان ذلك كذلك فهذا اختلاف عمَّا عند الإمامية في شأنها، فليس الولد حراماً من زواج المتعة إنما شروطها كشروط الزَّواج الدَّائم إلا أنها ليس فيها طلاق، بل تنتهي بانتهاء الوقت المتفق عليه، كذلك لا ميراث في زواج المتعة، وأن لا تكون المتمتع بها كافرة غير كتابية شأن الزَّوجة بالعقد الدَّائم[3].

أما الكتب التي يعتمدونها في الفقه فهي مثلما عند الجعفرية تماماً، الكتب الأربعة للمحمدين الثَّلاثة: محمد بن يعقوب الكُليني (ت نحو329 هـ)، ومحمد بن بابويه القمي المعروف بالشَّيخ الصَّدوق (ت 329 هـ)، ومحمد الحسن الطُّوسي (ت 460 هـ)، وهي على التَّوالي: «الكافي»، و«مَن لا يحضره الفقيه»، و«الاستبصار» و«الاعتبار». وكتاب «وسائل الشِّيعة» لمحمد الحسن الحر العاملي(ت

---

(1) الخصيبي، الهداية الكبرى، ص 425.

(2) المصدر نفسه.

(3) القزويني، الشِّيعة في عقائدهم وأحكامهم، ص 213-212. انظر: كاشف الغطاء، أصل الشِّيعة وأصولها، ص 98 وما بعدها.

1104 هـ)، ورسائل الفقهاء والمراجع الشِّيعة[1].

بالنسبة للأعياد يحتفلون بأعياد المسلمين: كعيدَي الفطر والأضحى، إضافة إلى عيد «الغدير» وهو ما تحتفل به الجعفرية أيضاً، مع الاختلاف من بلد إلى آخر، وهو يوم الثامن عشر من ذي الحجة، والتي يُعتقد أن فيه أُعلنت الوصية لعلي بن أبي طالب في غدير خم السنة العاشرة من الهجرة.

لكن في كتاب أبي سعيد بن ميمون الطَّبراني، وهو أحد البارزين في ما يُسمى بالطَّريقة الخصيبية، نسبة إلى الحسين بن حمدان الخصيبي، يحتفل العلويون قديماً، على ما يبدو، بأعياد أُخر ليست لدى الجعفرية منها، مثل: عيد المباهلة، وعيد الفراش وعيد عاشوراء[2].

على أية حال، يصعب اعتبار العلويين شيعة جعفرية بلا فوارق، فمثلما تقدم أن الانفلاق الذي حدث بسامراء بعد وفاة الحسن العسكري ليس بالقليل، إلى درجة أن كتب الشِّيعة تعتبر النّميري، وهو المؤسس الأول لأفكار هذه الجماعة مذموماً، مثلما تقدم في كتاب «الغيبة» لشيخ الطَّائفة الطُّوسي، وكتاب «بحار الأنوار» للمجلسي.

---

(1) الخيِّر، عقيدتنا وواقعنا، ص 31.

(2) انظر: الدُّجيلي، كتاب مجموع الأعياد والطريقة الخصيبية للطبراني، مجلة المجمع العلمي.

كذلك لم تدع عزلة هذه الطَّائفة السَّير في التَّقليد الجعفري، لذا نفهم من علويين نُصيريين معاصرين، من عامتهم وليس من فقهائهم، أن لهم رأيا بأضرحة الأئمة التي يزورها الجعفرية ويتبركون بها، بأنها لا تحوي أجساد الأئمة إنما أشباههم، لأنهم لم يقتلوا.

إشكالية التَّسمية

بعد أن عرفنا لحظة افتراق العلوية عن الشِّيعة الإمامية الجعفرية، وهو ما حصل في أسلوب، أو طريقة إدارة الطَّائفة الدِّينية بوفاة بعد الإمام الحادي عشر وغياب الثَّاني عشر حسب التقليد الشِّيعي، عن طريق السُّفراء ثم الوكلاء المراجع عند الجعفرية والباب ومَن خلفه في المنصب عند النُّصيرية؛ نأتي إلى تميزهم في الاسم، وبهذا يعتبر تاريخ العلويين ككلٍّ هو تاريخهم، يمتد جذر علويتهم الحركية بسلمان الفارسي (ت 36 هـ)، وأبي ذر الغفاري (مات منفياً نحو 31 هـ)، وعمار بن ياسر (قُتل 37 هـ) وغيرهم من أصحاب أو خاصة الإمام علي بن أبي طالب. صحيح أنه من ناحية الموالاة أو التَّشيع لعلي بن أبي طالب فالكلُّ يعتبرون علويين، لكن الاسم تحول إلى مصطلح خاص بهذه الجماعة التي لا تقيم اعتباراً لسفراء المهدي المنتظر، مع عده ضمن الأئمة المعتبرين في تقليدها الدِّيني.

فعندما نقرأ كتاب «تاريخ العلويين» للطَّويل، وهو مثلما تقدم

يعد الأول مكتوباً بقلم علوي، نجد بدْء تاريخ طائفته منذ عصر الرِّسالة ثم تاريخ الأئمة الإثني عشر، واعتبر كل موالٍ لعلي هو علوي ضمن طائفته، على أساس عدم الافتراق، فاعتبر الحمدانيين (277- 395هـ) علويين، والبويهيين (321-447هـ) علويين، والفاطميين بالمغرب ومصر (280- 567 هـ) علويين، والصَّفويين (1501-1722) علويين أيضاً.

على افتراض أن هذا الاسم غاب عنهم لعدة قرون بعد أن تعرضوا للتنكيل في زمن سليم الأول العثماني (ت 1520)، الذي أخذ عليهم أنهم أسدوا مساعدة أو تعاطفاً مع خصومهم الصَّفويين، وبما أن العثمانيين يسمون التُّركمان الشِّيعة بالقزلباشية، وهي كلمة تركية تعني الأحمر وتشير إلى جماعة تركية في الجيش الصَّفوي، أو أن ميليشيا الصَّفويين قبل انتظام الدولة، كانوا يعصبون رؤوسهم بعصابة حمراء، فأطلق عليه «القزلباشية»، فأشير إلى العلويين بهذه التسمية، وهم يتألفون من عدة قوميات داخل الدَّولة العثمانية: أتراك وكُرد وعرب. لكن نجد ابن بطوطة، ذكر اسمهم «النُّصرية»، وقد زار مناطقهم العام (726 هـ)، أي قبل العثمانيين بأكثر مِن مائتي عام، مثلما سيأتي ذكر ذلك.

إن اسم العلويين، أو العلوية، كان مصطلحاً يجمع محبي وأنصار الإمام علي بن أبي طالب (اغتيل 40 هـ)، لهذا يمكن إطلاقه على أهل العِراق كافة، لأنهم كانوا مع علي وخلافته بالكوفة ضد معاوية بن أبي سفيان (ت 60 هـ) وإمارته بدمشق. فكيف

تستأثر به جماعة واحدة ظلت طول التَّاريخ تعيش على هامش الحوادث، بينما تأسست دول شيعية، والعلوي صار نسبة لثائرين وسلاطين بالمغرب ومصر وأسماء وجماعات لا تُعد ولا تحصى! وإذا تتبعنا حوادث التَّاريخ نجد أن اسم العلويين يتكرر كإشارة لأحفاد علي بن أبي طالب، والتي هي أصغر دائرة من الهاشميين، ففي الاسم الأخير يشاركهم العباسيون عادة نسبة إلى عمِّ النَّبي العباس بن عبدالمطلب.

هنا نأتي إلى إشكالية التَّسمية، فهل حاولوا، متأخرين، التخلص من لقب أو نسبة النُّصيريين، ذلك الاسم الذي قدمته كتب الملل والنِّحل بصورة مشوهة، السُّنَّية منها والشِّيعية على حد سواء، مثلما رأينا. وارتبط به الغلو والمروق عن الدِّين واقتراف المحرمات، مع عدم تصديق ذلك. لكننا ملنا إلى فكرة أنهم بإزالة اسم النُّصيرية عنهم يفسح المجال لإعلان جعفريتهم وارتباطهم بالإثني عشرية، لأن محمد بن نُصير، المتصل الاسم به، هو الخارج الأول عن الإمامية، نريد أو لا نريد أنه صار تاريخاً، ومن الصَّعب تعديل الخطأ الشَّائع بصحيح ضائع لكنها الحقيقة، ولا نرى خطأً في الإشارة إليهم بالنُّصيريين، على أن التَّسمية العلوية فيها إشكال أنها تبرزهم الوحيدين هم أتباع علي أو محبيه الخُلص.

فالسُّؤال: كيف هؤلاء يسمَّون بالعلويين، وتأسست دولة باسم جبال العلويين، وظلت التَّسمية متداولة في محاولة لإزاحة تسمية «النُّصيرية»؟! وهل حصل ذلك بمشورة حاذق كالفرنسيين مثلاً؟ وماذا عن بقية الشِّيعة؟ ولماذا لا يدعى الإمام محمد بن إدريس

الشَّافعي(ت 204 هـ) علوياً مثلاً، أو يُعد مِن العلوية؟ فهو القائل في علي بن أبي طالب لحبه له، حتى يُشاع على الشَّافعية مجازاً، ومِن باب المبالغة، ونسمعه متداولاً بقوة: «يموت الشَّافعي وليس يدري عليٌّ ربه أم ربه الله»! ذلك لفرط حبه لعلي بن أبي طالب:

إذا في مجلسٍ نَذكر علياً

وسبطيه وفاطمة الزَّكية

يُقال تَجاوزا يا قوم هذا

فهذا مِن حَديث الرَّافضية

برئت إلى المُهيمن مِن أُناسٍ

يَرونَ الرَّفضَ حُب الفاطميّة[1]

كذلك جماعات الفتوة التي تجعل علي بن أبي طالب فتاها الأول، والفِرق الصّوفية التي تعود بمشايخها إلى سلالة علي، وأنه صاحب الطَّريقة الأولى، وعنه أخذت فمن الحق أن يسمَّوا أنفسهم بالعلويين. فلماذا هذه الفرقة أو الطَّائفة تحتكر الاسم، مع أن مشايخها، والذين كتبوا إلى جانبها، يحاولون إطلاق التَّسمية على جميع الشِّيعة. لكن يبقى للتَّسميات أُصول، فهؤلاء إسماعيلية،

(1) الشَّافعي، الدِّيوان، ص 74.

وأولئك زيدية، واثنا عشرية، وموسوية إلى آخره، مع أن العلوية تجمعهم كافة.

صحيح أنهم تبنوا الاسم وجهدوا لحصره فيهم، وأخذوا يعرفون به بعد إقامة دولتهم، وكأنه جاء من الفرنسيين، الذين أقاموا لهم تلك الدَّولة، ثم اقتنعوا أنهم ضمن سورية فسقط ما بيد الفرنسيين، وظلت الطَّائفة تسمَّى بهذا الاسم، تخلصاً من الاسم الذي فرض عليهم «النُّصيرية» نسبة إلى شخص أو جبل، كي يميزوا عن بقية الإثني عشرية.

ففي هذه التَّسمية يقول الطَّويل العلوي: «ولما اندثرت بقية العلويين، ولم تعرف ماهية مَن بقي في الجبل منهم، أطلق عليهم اسم النُّصيرية إذ لم تعرف ماهيتهم، ولكن الجبل جبل النَّصيرة»[1]. لكن: ماذا عمَا ورد في كتاب الملل والنِّحل؟! وماذا عما رواه ابن بطوطة؟! لعل كتاب الطَّويل كان أول إعلان لاسم العلويين على هذه الجماعة، تخلصاً من النُّصيرية الذي فُرض عليهم عبر التَّاريخ، وهو واقع حال أيضاً، بعد أن خرجوا عن الإثني عشرية في قضية ملء فراغ الإمامة بغيبة المهدي المنتظر بشكل مختلف.

ما يدل على أن الاسم (العلويين) جديد بالنَّسبة لهذه الطَّائفة، وكان قديماً مثلما تقدم بمعناه العام وشموليته، قال الطَّويل: «نشكر مولانا (يقصد الله) ونثني على لطفه وخيره ونحمده لعطاياه.

---

(1) الطَّويل، تاريخ العلويين، ص 447.

بعد انتهاء الحرب العمومية رجع إلى هذه الطَّائفة اسمها القديم، وسميت العلوية، ويا نِعم النِّسبة، ويا عظمة الفائدة، وهذا ما كانت محرومة منه منذ مدة 412 سنة (أي مِن قتال الأتراك للعلويين) وهذا اسمهم الذي هو أول ما ردَّ لهم مِن حقوقهم المغصوبة»[1].

لكن أجد في هذه التَّسمية ورطة جديدة، وهي أن غيرهم مِن مناصري ومحبي علي بن أبي طالب ليسوا علويين، لذا لو حصل أن عادت الطَّائفة إلى اسمها الأول «الإثني عشرية» مثلاً قبل ظهور فكرة محمد بن نصير النّميري، والتحاق جماعة به مِن الإثني عشرية أو الإمامية، وخالف ما عليه الشِّيعة الآن بالعراق، أي قبل الانشقاق بسامراء، وإلا فتسمية العلويين لا أجد فيها حقاً.

---

(1) المصدر نفسه، ص 449-448.

الفصل الثَّاني

أقوال وأقاويل الجرح

يحار النَّاظر في شأن النُّصيريين العلويين يُصدق مَن ويُكذب مَن في شأنهم! وأي اسم يُثبت لهم: أهُم علويون أم نصيريون؟! مسلمون في الأصل أم مسيحيون، طريقة صوفية أم شيعة جعفرية؟! مَن هو مؤسسهم: أهو النَّبي محمد مثلما هم يرون؟ أم الإمام علي بن أبي طالب مثلما هي دلالة الاسم؟ أم محمد بن نصير النَّميري كونه الأول في اختلافهم مع الإمامية أو الإثني عشرية على ملء فراغ الإمام بعد وفاة الحسن العسكري وغياب ولده المهدي، ومَن يقوم بمهام الغائب، أهم السُّفراء الأربعة أم خلفاء باب والده وبابه النّميري؟ أهم النّميرية والنّصيرية الوارد في كتب الملل والنِّحل أم الشِّيعة الإمامية؟! فالأدب المضاد يمحو السَّبيل لمعرفة الحقيقة.

كلُّ هذه الأسئلة تدور في ذهن القارئ لتاريخهم المكتوب مِن قِبل خصومهم، مِن مؤرخي الملل والنِّحل والأجانب، الذين في العديد مِن الأحيان يكتبون على السِّماع وموقف مسبق شديد التعصب ضدهم، إلى جانب ذلك هناك مَن سجل تاريخهم عبر شخص خرج مِن بينهم بعد أن مارس طقوس تخص جماعة معينة منهم، لا الطائفة بأكملها.

صحيح أن الطَّائفة انقطعت لزمن طويل ودخلتها خرافات هيمنت عليها، لكن ذلك الزَّمن انتهى، وقد أخذت منذ ما يُقارب

القرن تتصل ببقية المسلمين، فهي ليست وحدها التي لبستها الخرافات والخزعبلات، مِن إسلامية وغير إسلامية، إنما هناك جماعات عديدة ما زالت تعيش اللامعقولات وتعتقد بها وتمارسها، بل وتحاول زجها في السياسة والسُّلطة بعد سقوط النِّظام العراقي، وبعد الرَّبيع العربي، مثلما نرى ونسمع، إلا أن ما واجهته النُّصيرية كان مريراً حقاً، فلا تخلو المكتبات من إصدارات بأسماء حقيقية ومستعارة، كردة فعل على تصرفات الحكم المحسوب على الطّائفة العلوية بسورية، منها التعريض بتاريخ وعقائد الطَّائفة، والتَّركيز على حكايات فيها قسوة صارخة.

مثل كُتيب «الجيل الثَّاني... قصة واقعية تحكي عقائد النُّصيريين وعاداتهم» موقع باسم محمد حسين، صدر العام (1986) عن دار يغلب على الظَّن أنها وهمية، وهي دار «العقيدة»، وربَّما كان هذا الكتيب ردة فعل على ما حصل ضد الإخوان المسلمين السُّوريين بحماة (1982)، وعلى ما كانت تتصرف به ميليشيا سرايا الدِّفاع، التي قادها شقيق الرَّئيس حافظ الأسد رفعت الأسد، ثم حُلت ونفي قائدها إلى الخارج حتى هذه اللحظة. ولنا عودة إلى «الجيل التَّالي» لاحقاً.

اعتمد مؤلف كتيب «الجيل الثَّاني» على ما ألفه سليمان أفندي الأذني (قُتل 1866)، وهو اسم حقيقي لشخص نُصيري أو علوي تحول إلى المسيحية، وأخذ يسرد ما حمله مِن عقائد طائفته كان قد

ولد العام (1834) وقتل بسبب عصبيته ضد أبناء طائفته السابقة أو لردته عن الإسلام، وهو من الأساس يعتبر مرتداً لأن وقتذاك لم يُعترف بإسلام النُّصيرية، والغالب أنه قُتل بالسَّبب الثَّاني. اسم الكتاب «الباكورة السُّليمانية في كشف أسرار الدِّيانة النّصيرية»، نشره بعد أن عاش ببيروت كمسيحي في القرن التاسع عشر، وفي العام 1990 نشرته في القاهرة دار «الصحوة»، وصار مصدراً لكلِّ مَن تناول موضوع النّصيرية.

لم يعد الاهتمام في ما كتبه الأذني حديثاً، أو متصلاً بهيمنة الطَّائفة على السُّلطة بسورية، إنما لو عدنا إلى مَن كُتب عنهم قبل خمسة وثمانين عاماً، أي العام 1927، نجد هذا الكتاب هو المصدر الأول وربَّما الأخير، فقد جاء في مجلة «لغة العرب»، مع أن منشئها أحد الآباء المسيحيين، والمحققين وهو أنستاس الكرملي (ت 1947): «أحسن كتاب وضع في النّصيرية، فكان منهلاً اختلف إليه المحققون هو المسمى: الباكورة السُّليمانية في كشف أسرار الديانة النّصيرية، تأليف سليمان أفندي الأذني، طبع في بيروت في المطبعة الوطنية إلا أنه لم يذكر فيه اسم المطبعة ولا تاريخ الطبع فيها، خوفاً من أن تتلفها النُّصيرية بغضةً وانتقاماً. وقد قال لنا الثِّقة: إن الرَّجل المذكور ولد نُصيرياً في مدينة أنطاكية ثم أسلم فتهوَّد، وفي الآخر تنصر فألف كتابه المذكور. على أنه صبأ في الآخر إلى مذهبه الذي ولد فيه، فظن إخوانه أنه يفعل هذا الفعل دهاءً منه لتوصل إلى ما لم يتوصل إليه في سنينه الأُولى، فنصبوا له أُحبولةً أسقطوه فيها ثم

اغتالوه، ولم يذكر لي تاريخ الاغتيال»[1].

قال الأذني أو الأدني مبرراً أو سارداً كيف تحول إلى المسيحية: «ثم بعد مدة صادفت الخواجة يوحنا طراد المحترم، وكان يومئذ في مدينة أدنة (أو أذنة أو أطنة)، فأطلعته على جميع ما عندي، وقال لي: إنك لا تقدر أن تسكن في هذه المدينة لأن النّصيرية هنا أقوياء، ولكن شوري عليك أن تذهب إلى بيروت، وأنا أرسل معك مكاتبة فقبلت منه الرأي، ولما حظيت منه بالكتاب المعنون بالدَّليل إلى طاعة الإنجيل لسيدي الخواجة ميخائيل... وصرت مسيحياً بنعمة الله»[2].

بعدها أخذ يشكو من طائفته السَّابقة لما ظهرت لديه نية التَّحول عن الطَّائفة والإسلام ككلٍّ، قال: «أطلقوا عليَّ اللَّعن والحرم، ووضعوا اسمي بين جملة المشتومين، واتفقوا على قتلي خفياً، وإن ظهر أمري يدفعون ثمن دمي. فمنعهم الشَّيخ صالح أفندي ابن سمرة، وقال: إن الرَّجل قد تركنا لأنه قد تحقق عنده أن ذكر صلاتنا كفرية»[3].

جاء ذكر العلويين من قبل باحث إسماعيلي، وما بين العلويين والإسماعيليين، على الرَّغم من اتفاقهم في التشيع على العموم، من

---

(1) باب المكاتبة والمذاكرة، مجلة لغة العرب، الجزء السَّابع، المجلد الخامس، السنة الخامسة 1927 ص 332.

(2) الأذني، الباكورة السليمانية، ص 117-116.

(3) المصدر نفسه.

معارك وخلافات واضطرابات، فقد أوردهم مصطفى غالب ضمن كتاب «الحركات الباطنية في الإسلام» (بيروت: الأندلس 1982) غارفاً من كتاب الباكورة، السابق الذِّكر، أن لهم كتاباً يُدعى «الأسوس» وهو حسب ما قال: «الأساس الذي بُنيت عليه التَّأويلات الباطنية والرُّموز والمصطلحات النّصيرية»[1].

كذلك كتب عنهم تقي شرف الدِّين كتاباً عنوانه «النُّصيرية دراسة تحليلية»، ومن أول وهلة يظن القارئ أنه ستتوافر فيه الحيادية، وعلى الرّغم من أن الباحث بذل جهده في جمع مادة اجتماعية وسياسية حول العلويين، التي ظل يحرص على تسميتها بـ«النّصيرية»، وهي ليست خاطئة باعتقادي، إلا أنه في عقائدهم اعتمد على مصادر اعتبرها العلويون مغرضة ككتاب الأب بطرس قزي، المعروف بأبي موسى الحريري، الذي سيرد اسمه لاحقاً، ولم يعتمد المؤلف شرف الدِّين على كتاب من كتب علماء الطَّائفة، أو الكتب التي مالت إلى العدالة والحيادية، لإطلاع القراء على الرَّأي الآخر.

يرى شرف الدِّين أن النُّصيرية قضوا الزَّمن بالتَّخطيط للهيمنة على سورية، مع أنه اعترف بحالتهم المزرية قائلا: «تتميز جبال النُّصيرية بفقرها الشَّديد وتخلفها الواضح، ولا توجد فيها سوى قطع من الأرض الصَّخرية التي تصعب زراعتها...»[2].

---

(1) غالب، الحركات الباطنية في الإسلام، 284.

(2) شرف الدين، النّصيرية، ص 26.

فمثل هذا المستوى من الحياة هل يتوقع المؤمن بمؤامرة هذه الجماعة أنها ملكت ثقافة سياسية وأخذت تخطط؟! أما أن أبناء منها احتلوا مواقع عسكرية ثم قيادة الدَّولة، فليس معنى ذلك أن الطَّائفة كانت تخطط، شأنهم شأن أبناء الطَّوائف الأخر، تقدموا في الأحزاب التي نالت السُّلطة فسادوا، لا يجب أن يُفسر الأمر بخبث الطَّائفة ومراوغتها على العموم. يُذكر رأيه هذا بما رواه ابن بطوطة عن المهدي، الذي سمع قصته بمدينة جبلة من ساحل اللاذقية بأنه أملَ النُّصيريين «بتملك البلاد، وقسم بينهم بلاد الشَّام، وكان يُعين لهم البلاد ويأمرهم بالخروج إليها». لكن هذه المرة خرج التخطيط من قرداحة لا جبلة[1]!

فشرف الدِّين يعزو تطلع النُّصيرية، أي العلويين، إلى السُّلطة بدافع مزدوج، وهو مركب الشُّعور بالنَّقص: شعب محتقر ولكنه في الوقت نفسه تدفعه رغبة قوية لتعويض ذلك النَّقص[2]. من دون أن يبحث في الاضطهادات التي وقعت عليهم من قبل الدَّولة العثمانية، ضمن حروبها مع الدَّولة الصَّفوية، ومن دون البحث في تفاصيل تشكيل دولتهم ثم الثَّورة على الفرنسيين كي يلتحقوا بالدَّولة السورية العام 1936. والسُّؤال يوجه أيضاً بماذا اندفع بقية شباب الطَّوائف الأخر بسورية إلى السُّلطة، هل بحكم نقص أم شيء آخر؟!

---

(1) ابن بطوطة، الرِّحلة، ص 80.

(2) شرف الدين، النّصيرية، ص 33.

على الرَّغم من أنهم يصرخون بأنهم مسلمون إلا أن شرف الدِّين عندما يتحدث عن المجتمع السُّوري يقسمه إلى مسلمين ونُصيريين وبقية الطَّوائف[1]. أي يعاملهم معاملة دين آخر، وهذا حسب ما ذكر ورد في إحصاءات سكانية سورية في الخمسينيات، وهي على ما يبدو من التَّأثيرات الفرنسية عندما أرادت فرنسا عزل هؤلاء عن الإسلام، ولعلَّ في هذا الرَّأي شيئاً من المبالغة، فإذا أيد لهم البعد عن الإسلام فلماذا يصر الفرنسيون على تسمية تلك الدولة بجبال العلويين أو العلوية، ومعلوم ما صلة هذا الاسم بالإسلام!

ثم عندما يتحدث عن عقائدهم يصفها بالطَّوطمية والسِّحر والخرافات والمزارات والمعجزات التي ينسبونها لها[2]. أقول: هل ما زال وجود ما للديانة الطُّوطمية بالمنطقة، وهي عبادة ظواهر الطَّبيعة؟! وهل هناك طائفة دينية خلت من المزار والخرافة والسَّحر، لكن لا يجب أن تؤخذ الطَّوائف بما فيها من جماعات يميلون إلى ما تفضل به المؤلف تقي شرف الدِّين، فلو زار ضريح الإمام الشَّافعي بالقاهرة لشاهد كيف تُرمى الرَّسائل إلى داخل الشِّباك يطلب فيها النَّاس حاجاتهم منه، ومنها وساطة لقضاء حاجة مع الحكومة، أو قصة حب عصية، وكذلك لو زار ضريح العباس بن علي بن أبي طالب بكربلاء لوجد مثل ذلك وأكثر.

---

(1) المصدر نفسه، ص 56.

(2) المصدر نفسه، ص 36.

أنقل هذه القصة، التي حصلت معي تحت قبة ضريح رأس الإمام الحسين، أو سيدنا الحسين حسب المصريين وسط القاهرة (أكتوبر 2004)، مِن كتابي «ضد الطَّائفية»، لنرى أن الغلو والفيض في التقديس لا يَقتصر على مذهب دون آخر: «لذا وجدت نفسي، وأنا أقلب النَّظر في فضاء ضريح الحسين بالقاهرة، مستفسرا من السَّادن الشَّافعي: هل يضم الضَّريح الرأس الشَّريف فقط! أجاب بنفرة وامتعاض: لا تقول هذا! فيه الجسد والرأس معاً»! قلت: «أنا من العراق، ومن العشيرة التي دفنت جسد الإمام هناك بلا رأس»! قال: «الشِّيعة يكذبون»!

وأردف مفسراً وجوده بالقاهرة: «لما دُفن الرأس هنا بمصر، رغبة من شقيقة صاحبه السَّيدة زينب، حملت الملائكة البدن وألحقته به»! عندها رددت على السادن: «وهل تريد القول إن الضريح الذي نزوره بكربلاء خالٍ من الرأس والجسد»؟ قال: «ما قلت لك هو الصَّحيح»! وأشار إلى زاوية مقفلة في داخل الضريح قائلاً: «هذه، فيها أسرار لا يعرفها إلا صاحبها! ولم يدلني مَن هو صاحبها! ومثلما تعددت أضرحة رأس الحسين، تعددت أضرحة السَّيدة زينب، فهي بدمشق والقاهرة أيضاً»[1].

على أية حال، كتاب شرف الدِّين «النَّصيرية» بمجمله، وعلى الرَّغم مِن الجهد المبذول فيه، لكنه بالنتيجة تراه مؤلفاً لغاية سياسية تبدأ من الصفحة 186، وعنوان «حافظ الأسد والسُّلطة»،

---

(1) ضد الطَّائفية، فصل: هل عادت الرؤوس، ص 109 - 110.

وهو تحميل الطَّائفة كلَّ تبعات السِّياسة السُّورية التي يختلف معها الكاتب شرف الدِّين. مما حدا به في الخاتمة أن يتوصل إلى نتيجة مفادها: أن هذه الطَّائفة غريبة على المحيط العربي المسلم، وقد جنحت إلى الغربة، ولا تعرف غير الردة والتمرد[1].

الجدير بالذكر علمتُ من الأكاديمي اللبناني سعود المولى، عندما سألته عن المؤلف شرف الدِّين وعلاقته بأسرة شرف الدِّين الشيعية المعروفة بلبنان، أجابني: إنه اسم مستعار لشخص من الناشطين البعثيين مع بعث العراق ضد بعث سورية. فالكتاب كان لغاية ونكاية سياسية دخلت فيها الطَّائفة وصارت هي مادة الكتاب، واتخاذ لقب شرف الدِّين على ما يبدو استخدم لغرض إبعاد الشُّبهة عن أن يكون التأليف لغرض طائفي.

كذلك نجد صاحب كتاب «سوسنة سليمان في أُصول العقائد والأديان» (بيروت 1876) نوفل نعمة الله الطَّرابلسي (ت 1887)، يفرز لهم فصلاً ضمن حديثه عن غلاة الشِّيعة، وجدناه يستقي معلوماته من كتاب الباكورة ويزيد عليه، وبأنهم قالوا: إن الإلوهية استقرت في علي بن أبي طالب، وأن محمداً متصل بعلي ليلاً ومنفصل عنه نهاراً[2]، وغير ذلك مما لا يعترف به شيوخ العلويين أنفسهم. كذلك تناولهم بلا تمحيص، بل بنقولات عمن سبقه عبدالرَّحمن

---

(1) المصدر نفسه، ص 219-218.

(2) نوفل، كتاب السوسنة، ص 234.

بدوي (ت 2001) في كتابه «مذاهب الإسلاميين» (الجزء الثاني)، وصابر عطية في كتابه «العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيهما» وغيرها الكثير، ومنها ما سيأتي ذكره خلال البحث.

نقرأ مثلاً في مجلة معاصرة، أي في العقد الثالث من القرن العشرين، وكأن الكاتب غرف ممَن أشار إليهم مِن الأقدمين بهتك المحارم، وهي موبقة توظف للتسقيط بالشرق عموماً وليس بعدها موبقة. جاء في أمرهم بشهادات يظهر فيها التَّلفيق جلياً، فعندما تستشهد بأهل مدينة كاملة لا يعني هذا دلالة تحقيق وتمحيص، إنما على الغالب يأتي مجرد إشاعة: «ويروي أهل عانة عن أولئك النّصيرية أن لهم عيداً واحداً في السَّنة يجتمع في ليلته الرِّجال والنِّساء معاً، بعد أن يكونوا قد اشتروا سريجاً يضيؤون به قناديلهم في تلك الحفلة الليلية، ثم يطفئونها على حين غرة، ويذهب بعضهم إلى الجامع للصَّلاة متاقاة (من التَّقية) في كلِّ جمعة».

«أما في محلتهم فلا ترى مسجداً. والمسموع عنهم أنهم لا يصومون رمضان، ولا يحجون ولا يعمرون (مِن العمرة). ومِن الأعمال الشَّائعة عنهم في عانة أنهم يأتون الجدي، وينتفون شعره، ولا تعرف الغاية مِن هذه القربة، وهم لا يسمحون لأحد أن يقف على أسرارهم أو شعائرهم أو يطالع كتبهم الدِّينية، وإن علموا أن فلاناً اطلع على شيء مِن هذا القبيل اغتالوه»[1].

---

(1) باب أسئلة وأجوبة، مجلة لغة العرب، الجزء السَّادس، المجلد السابع، السنة الخامسة، ص

خلافاً لما ورد، في التَّاريخ والحاضر، يأتي الشيَّخ السَّلفي السُّوري محب الدِّين الخطيب (ت 1969)، ويعتبر ابن نُصير هو المخترع لقضية المهدي المنتظر، أو بعبارة أُخرى هو المخترع لفكرة أن يكون للإمام الحسن العسكري ولد، وهو ليس لديه. جاء ما كتبه الخطيب في هجوم كاسح ضد الشِّيعة على العموم، بينما كان هو يُقدم لمذكرة الشَّيخ عبدالله السويدي عن مؤتمر النَّجف للحوار بين المذاهب، والذي أسفر عن عدم السَّب من جانب الشِّيعة والتوقف عن التكفير من جانب السُّنة، فالمفروض أن يكون خطاباً آخر يتناسب مع المناسبة.

قال في النَّصيرية، على الخاطرة لا من مصدر ودراسة: «فاخترع لهم شيطان من شياطينهم، يُسمَّى محمد بن نُصير، من موالي نمير، فكرة أن للحسن مخبوءًا في سراديب أبيه ولداً ليتمكن هو وزملاؤه من الاحتيال على عوام الشِّيعة وأغنيائهم بتحصيل الزَّكاة (الخمس غير الزَّكاة) باسم إمام موجود، وليوصلوا الادعاء كذباً إنهم إمامية، وأراد أن يكون هو الباب للسرداب الموهوم بين الإمام المزعوم وشيعته، ويتولى جمع أموال الزَّكاة فخالفه زملاؤه من سائر شياطين هذه المؤامرة، وأصروا على أن يكون الباب رجلاً زياتاً أو سماناً له دكان على باب بيت الحسن وأبيه، يأخذون منه حاجتهم المنزلية»[1].

---

368 - 369.

(1) الخطيب، مؤتمر النجف، ص 36: انشقاق النصيرية.

أتى محب الدِّين الخطيب على هذه الفقرة كي يبرهن أنه لا حوار مع الشَّيعة، بمعنى لتستمر الحرب، مع أنه يعلم أن مسألة المهدي مسألة عامة عند المسلمين وأحاديث نبوية كثيرة العدد نقلتها كتب السُّنة المعتمدة، وما يبقي هو الاختلاف في الفكرة وأسلوب إخراجها لا أكثر. بطبيعة الحال، القضية ليست هكذا، بغض النَّظر عن كونها كاذبة أم صادقة، لكن هناك معطيات تاريخية حولها، تتعلق بالاختلاف في إدارة شأن الطَّائفة بعد انتهاء دور الأئمة الظاهرين، وبداية الإمام الغائب وانتظار خروجه، وهي على ما نحتمل تقابل الفكرة السُّنِّية في عدم الثَّورة على الحاكم، والاكتفاء بالنُّصح والصبر، فعند الشِّيعة الكف عن الثَّورة ومحاربة الحاكم[1]، لأن الأمر يعود لصاحبه هو المهدي المنتظر. لكن كيف

---

(1) كتب الشيخ المظفر تحت عنوان «عقيدتنا في الوظيفة في الدَّولة الظَّالمة»، ملمحاً إلى عدم جواز العمل الحزبي والسِّياسي باسم الدين أو المذهب، مستنداً إلى مسلمات في الفكر الشِّيعي: «ورد عنهم (يقصد الأئمة الإثني عشر) جواز ولاية الجائر إذا كان فيها صيانة العدل، وإقامة حدود الله والإحسان إلى المؤمنين، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر إن لله في أبواب الظَّلمة من نوَّر الله به البرهان، ومكَّن في البلاد، فيدفع به عن أوليائه ويصلح المسلمين» (المظفر، عقائد الإمامية، ص 128).

وينقل عن الإمام موسى الكاظم (ت 183 هـ) وصيته لشِّيعته: «لا تذلوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم، فإن كان عادلاً فاسألوا الله بقاءه، وإن كان جائراً فاسألوا الله إصلاحه، فإن صلاحكم في صلاح سلطانكم، وإن السُّلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فأحبوا له ما تحبون لأنفسكم، واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم» (المصدر نفسه، ص 133). هذا والشيخ المذكور يُعد من علماء الإمامية الكبار بالنَّجف، وهو صاحب كتاب «المنطق» الذي أخذ يُدرس في الحوزة الدينية.

وهنا يلتقي علماء الشيعة بعلماء السُّنَّة في الموقف من الثَّورات والعمل السِّياسي ضد السُّلطة الزَّمنية، ونكتفي بما جاء به الشَّيخ تقي الدين بن تيمية (ت 728 هـ): «وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم، وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة، ولهذا روي: أن السلطان ظل الله في الأرض. ويُقال: ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا

تنفذ؟! فهذا شأن تلك الفترة.

لقد جعل الجهل عامة النُّصيريين، الأكثر بينهم قياساً بالمذاهب الأُخر بحكم الظُّروف التي عاشتها هذه الطَّائفة، يؤمنون بعقائد يعتبرها فقهاؤهم اليوم شاذة، ودخلت من اختلاط الصُّوفية بهم كالبكتاشية والحروفية، مع أن هناك من الولاة العثمانيين مَن حاول فك تلك العزلة عنهم ودمجهم بسكان المدن، مثل مدحت باشا (قُتل 1884)، حتى أن الطَّويل يعتبر نقل هذا الوالي عن الشَّام إلى أزمير وتدبير قتله هو بسبب عنايته بالعلويين، والاعتقاد بأنه سيقتفي أثر محمد علي باشا(ت 1848) بمصر ويعلن الانفصال بالشَّام[1].

لا يفوتنا أيضاً التنويه إلى ما كتبه الأكاديمي التونسي المُنصف عبدالجليل، والذي قُدم موضوعه كأطروحة أكاديمية لنيل الدُّكتوراه، وصدرت بعدها كتاباً تحت عنوان «الفرقة الهامشية في الإسلام ... بحث في تكوين السُّنية الإسلامية ونشأة الفرقة الهامشية وسيادتها واستمرارها» (تونس: مركز النَّشر الجامعي

سلطان. والتجربة تبين ذلك»(ابن تيمية،مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، 28 ص 390-391).

كذلك قال ابن تيمية في شأن محاربة الإمام الجائر في زمن الفتنة: «لهذا أمر النبي (ص) بالصبر على جور الأئمة، ونهى عن قتالهم، ما أقاموا الصَّلاة. وقال: أدوا حقوقهم، وسلوا الله حقوقكم» (المصدر نفسه 28 ص 128). وأيضاً: «ولهذا كان من أُصول أهل السُّنَّة والجماعة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة» (المصدر نفسه 28 ص 129).

(1) الطَّويل، تاريخ العلويين، ص 454 وما بعدها.

1999). تناول الكتاب أربعة فرق هي: النُّصيرية، والدُّروز، والبابية، والبهائية. لا نقوم هنا بدور النَّاقدين للكتاب، حتى نؤكد أن الدُّروز ديانة خاصة، إلى حد ما، وأن البابية أصبحت داخل البهائية وهي ديانة خاصة لا فرقة مثلما بدأت.

أما في شأن النُّصيرية فعلى الرَّغم من شدة حذر المؤلف من الرِّوايات، وكثرة احتمالاته ومحاولاته في أن يكون محايداً أميناً. إلا أنه وقع في خطأ الاعتماد على الباكورة السُّليمانية وعلى كتب الأجانب عن النُّصيرية، فجعل ابن نُصير مؤسساً لديانة لا مذهب وأن له كتبا واعتقادات يطول ويعرض ذكرها، مع أن المسألة كانت بسيطة جداً، وهي الخلاف حول ملء الفراغ بعد الإمام ومَن يقوم بدور الوكيل أو النَّائب في غيبة الإمام، هذا هو كلُّ الخلاف، ثم تدخل الصُّوفية والتَّأثيرات الأُخر الفلسفية ومنها الدِّينية فتؤثر في هذه الفرقة وغيرها.

نستغرب من قول مؤلف «الفرق الهامشية»: «نرجح أن ابن نُصير قد قنع بادعاء السَّفارة والبابية للإمام الحسن العسكري»[1]. ففي هذا القول نسف كلَّ ما دار حول النُّصيرية، وهي موضوع كتابه، فالمسألة ليست ترجيحاً إنما هذا هو واقع الحال، فليس لدينا سوى الرِّوايات التي بُني تاريخ النُّصيرية عليها، أما مفردة «نُرجح» فلا أدري ما هو موقعها.

---

(1) عبدالجليل، الفرقة الهامشية، ص 71.

شيء آخر وهو الربط بين شخصيات من الطائفة شقت طريقها المستقل في الفكر والسياسة باتجاهات مختلفة والطَّائفة؛ وتسمية أفكارهم وحركتهم بالعلوية، مثلما هو الحال مع زكي الأرسوزي (ت 1968)، وهو المؤسس القومي وأساس من أساسات حزب البعث العربي الاشتراكي النَّظرية، أن يُعد على الطَّائفة النُّصيرية، وإن كان نُصيرياً أو علويَّ الولادة والنَّسب، فهل كان انطلاقه من النُّصيرية أم من القومية العربية، ليكون ممثلاً لمجمل مقالات وتصورات هذه الطَّائفة[1].

نرى في هذا الأمر إقحاماً لا مبرر له، وكأن هناك طائفة تخطط للحكم وتُقدم مفكرين لهذه الغاية حتى يصل حافظ أسد إلى الحكم، لأجل استمرار وجود الطائفة. فترى المنصف عبدالجليل يقول: «يمكن استخراج مقالة النُّصيرية في نظام الحكم من خلال أدبيات مفكريها المعاصرين خاصة، ثم تجربتها السِّياسية حين قيام الدَّولة الحديثة، ونخص من تلك التَّجربة عهد حافظ الأسد»[2].

نسأل سؤالا: هل يمكن حساب تجربة ميشيل عفلق (ت 1989) في حزب البعث وتنظيره وتحركه على أنها أرثذوكسية مثلاً أو ميسحية بشكل عام، كونه مسيحياً؟! أو هل يُحسب تحرك وتنظير

---

(1) المصدر نفسه، ص 600.

(2) المصدر نفسه.

فهد يوسف سلمان يوسف (أعدم 1949) مؤسس الحزب الشِّيوعي العراقي على أنه سرياني أم أنه ماركسي؟! لكن هذا لا يمنع مِن اعتبار الجهد المبذول في الكتاب، والأمانة البحثية والعلمية، مع الاعتماد على مصادر هي بالأساس مملوءة بالأوهام عن النُّصيرية.

رواية ابن بطوطة:

يمرُّ ابن بطوطة (ت 779 هـ) في ساحل اللاذقية، العام (726 هـ)، ويصل حصن مصياف ومدينة جبلة، ويتحدث عن الإسماعيلية هناك ويسميهم الفداوية، وهم النَّزاريون المعروفون بالحشاشين خطأً، وتلك قصة طويلة[1]، وهناك يجد طائفة «النُّصيرية»، فقال: «وأكثر أهل هذه السَّواحل هم الطَّائفة النّصيرية، الذين يعتقدون أن علي بن أبي طالب إله، وهم لا يُصلون ولا يتطهرون ولا يصومون، وكان الملك الظاهر ألزمهم بناء المساجد بقُراهم، فبنوا بكلِّ قرية مسجداً بعيداً عن العمارة ولا يدخلونه ولا يعمرونه، وربَّما أوت إليه مواشيهم ودوابهم، وربَّما وصل الغَريب إليهم، فينزلُ بالمسجد ويؤذن للصَّلاة، فيقولون له: لا تنهق! علفُك يأتيك، وعددهم كثير»[2].

كذلك نقل ابن بطوطة ما سمعه عن أحد النُّصيريين ودعوته

---

(1) أتينا عليها بالتفصيل في كتابنا: لا إسلام بلا مذاهب وطروس أُخر، طرس: الانتحار مِن أجل الجنة، ص 113 وما بعدها.

(2) ابن بطوطة، الرِّحلة، ص 79 – 80.

إلى أنه المهدي المنتظر، قائلاً: «ذُكر لي»[1]، ويأتي بقصة الرَّجل المجهول الذي ادعى أنه المهدي. وربَّما هو نفسه الذي أفتى ابن تيمية ضد النّصيرية بسببه، بعد أن استُفتي فيه، وأُخبر بخبره، فقال: «النّصيرية من أعظم النَّاس كفراً بدون اتباعهم لمثل هذا الدَّجال، فكيف إذا اتبعوا مثل هذا الدَّجال؟»[2].

قال ابن بطوطة: إن هذا الرَّجل المهدي قد وعد طائفته النّصيرية «بتملك البلاد، وقسم بينهم بلاد الشَّام، وكان يُعين لهم البلاد ويأمرهم بالخروج إليه، ويُعطيهم من ورق الزَّيتون، ويقول لهم: استظهروا بها فإنها كالأوامر لكم. فإذا خرج أحدهم إلى بلدٍ أحضره أميرها فيقول: له: إن الإمام المهدي أعطاني هذا البلد، فيقول له: أين الأمر؟ فيخرج ورق الزَّيتون فيُضرب ويحبس ثم إنه أمر بالتَّجهيز لقتال المسلمين وأن يبدأوا بمدينة جبَلة»[3]. إلى آخر الرّواية، ومن المفارقة أن يتفق الضدان ابن تيمية وابن بطوطة، وهما ضدان مذهبياً لا شخصياً، فهذا حنبلي وذاك مالكي. ولهذا قصة ستأتي لاحقاً.

لو نظرنا إلى ما حكاه صاحب الرِّحلة الشَّهيرة من زاوية ما يحدث في عصرنا، من ظهور المهديين، لا نستغربها أبداً، ففي

---

(1) المصدر نفسه.

(2) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 28 ص 553.

(3) ابن بطوطة، الرِّحلة، ص 80.

تشرين الثَّاني (نوفمبر) 1979 أعلن جهيمان(أُعدم 1980) مِن داخل الحرم المكي وجود المهدي معه ويدعو إلى مبايعته، وتمت البيعة مِن قِبل أصحاب جهيمان، والأخير حنبلي سلفي معروف، وجماعته المعروفة بـ«الجماعة السَّلفية المحتسبة»، ومَن أعلن نفسه مهدياً أو مِن نواب المهدي بالعراق بعد سقوط النِّظام السَّابق 2003 بالبصرة والحلة، مَن عرف منهم بـ «جند السَّماء» وغيرها، وبالسودان يظهر مهديون ببلدان عديدة، وصار لقب لأسرة معروفة، وما دارت مِن حكايات حول المهدي وقرب ظهوره لا يخلو منها شعب مِن الشُّعوب إلا ما ندر، وعلى وجه الخصوص في شرقنا بين اليهود، وفرقة الدونمة[1] اليهودية بتركيا معروفة، والمسيحيين والمسلمين[2].

لكن هل يصح أن تُؤخذ المذاهب التي ينتمي إليها هؤلاء المهديون بتلك الدَّعوة، أم إنها مسؤولية الجماعة الدَّاعية منها؟! وهذا ما يجب أن يُعامل به العلويون النُّصيَّريون أيضاً، وعلى وجه الخصوص إنهم بادروا لتصحيح ما أصاب الطَّائفة، وأنها الوسط في التَّعامل بين الشِّيعة والسُّنة عند الغلواء المذهبية أو الطَّائفية، مِن دون الالتفات إلى طبيعة السلطة بسورية وصلتها السِّياسية بإيران

---

(1) راجع: كتاب الدونمة لمؤلفه جعفر هادي حسن مثلاً.

(2) راجع: ناصر الحزيمي، ذكرياتي مع جهيمان العتيبي قائد المحتلين للمسجد الحرام، كتاب مسبار الثالث والأربعون، يوليو (تموز) 2010، الصادر من مركز المسبار للدراسات والبحوث – دبي ، وكتابنا مئة عام مِن الإسلام السياسي بالعراق، الجزء الأول، الفصل الحادي عشر، والخاص بالمهديين (بيروت: دار مدارك الطبعة الثانية).

الإسلامية.

لكن لو نظرنا في ما يرويه ابن بطوطة حول الآخرين، ورواياته في أحيان تأتي على السماع لا على المشاهدة، يجعلنا لا نأخذ روايته ككل صحيحة، فهو سمع عن جماعة منهم قد يكونون على ما أخبر به، إلا أن ذلك يصعب أخذه على الطَّائفة بكاملها. هنا نأتي بما قاله عن الشَّيخ ابن تيمية (ت 728 هـ) نفسه، والذي يتفق معه في الموقف إزاء هذه الطَّائفة، كي يتضح لنا كيف يُصاغ الموقف مِن الآخر المختلف.

قال ابن بطوطة: «كان بدمشق مِن كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدِّين بن تيمية، كبير الشَّام يتكلم في الفنون إلاّ أن في عقله شيئاً (ثبت في عنوان الفقرة داخل الرِّحلة بلوثة)، وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم، ويعظهم على المنبر، وتكلم مرة بأمرٍ أنكره الفقهاء، ورفعوه إلى الملك النَّاصر، فأمر بإشخاصه إلى القاهرة، وجُمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك النَّاصر، وتكلم شرف الدِّين الزواوي المالكي وقال: إن هذا الرَّجل قال: كذا وكذا، وعددَّ ما أنكر على ابن تيمية، وأحضر العقود بذلك، ووضعها بين يدي قاضي القضاة»[1].

ويضيف ابن بطوطة قائلاً: «كنت إذ ذاك بدمشق، فحضرته

---

(1) ابن بطوطة، الرِّحلة، ص 95.

يوم الجمعة (مجلس ابن تيمية) وهو يعظ النَّاس على منبر الجامع ويذكَّرهم، فكان مِن جملة كلامه أن يُقال: إن الله ينزل إلى سماء الدُّنيا كنزولي هذا، ونزل درجة مِن درج المنبر، فعارضه فقيه مالكي يُعرف بابن الزَّهراء، وأنكر ما تكلَّم به، فقامت العامة إلى هذا الفقيه، وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عِمامته، وظهر على رأسه شاشية حرير، فأنكروا عليه لبسها، واحتملوه إلى دار عزِّالدِّين بن مسلم قاضي الحنابلة، فأمر بسجنه وعّززه بعد ذلك، فأنكر فقهاء المالكية والشَّافعية ما كان مِن تعزيزه (إلى آخر الرواية) فأمر بسجن ابن تيمية بالقلعة فسُجن بها حتى مات في السِّجن»[1].

ونأتي بمَا يضعف أو يشطب رواية ابن بطوطة، بل ويُكذبها، في شأن ابن تيمية كاملة، كي تتضح الصُّورة أكثر، وألا يُؤخذ النُّصيريون العلويون بما قاله فيهم على أنه حقيقة شاملة للطَّائفة كافة. نجد في تحقيق المؤرخ المغربي عبدالهادي التَّازي لمخطوطة رحلة ابن بطوطة، وهي غير التي استقينا منها روايته عن ابن تيمية، التفاتة إلى فارق الزَّمن بين دخول ابن بطوطة دمشق ودخول ابن تيمية السِّجن. فابن بطوطة دخل دمشق «يوم الخميس التَّاسع مِن شهر رمضان» حسب روايته هو لا غيره[2]، بينما ابن تيمية

---

(1) المصدر نفسه، ص 96-95.

(2) المصدر نفسه، ص 84.

«أُودع السجن سادس شعبان أي قبل وصول الرَّحالة إلى دمشق»[1]. بمعنى كان الفارق بين وصول ابن بطوطة وسجن ابن تيمية نحو الشَّهر، هذا إذا أسرع الرَّحالة إلى المسجد لحظة وصوله إلى دمشق مباشرة دون أن يستريح في مكان آخر. لقد اعتبرها التَّازي من المؤاخذ على ابن بطوطة، وهي ليست الوحيدة، فما نقله عن رحلة ابن جُبير ليس قليلاً وادعى أنه زار المكان الذي يتحدث عنه، لكن النَّص هو نص الرَّحالة ابن جُبير، الذي سبق ابن بطوطة بنحو المائتي عام إلى المشرق، وهذا ليس عين اهتمام موضوعنا.

أما ابن جبير (ت 614 هـ) فقد زار تلك المنطقة وأخبر عن جبل لبنان، الذي وراءه تقع اللاذقية وأنطاكية، ووجد فيه الإسماعيلية، وقال: «فرقة مرقت من الإسلام، وادعت الإلهية في أحد الأنام، وقيض لهم شيطان من الإنس يعرف بسنان خدعهم بأباطيل وخيالات موه عليهم باستعمالها وسحرهم بمحالها، فاتخذوه إلهاً يعبدونه، ويبذلون الأنفس دونه، وحصلوا من طاعته وامتثال أمره بحيث يأمر أحدهم بالتردي من شاهقة جبل فيتردى، ويستعجل في مرضاته الرَّدى»[2].

بلا شك أن تلك الأوصاف تنطبق على حسن الصَّبَّاح (ت

---

(1) ابن بطوطة، الرحلة، طبعة الأكاديمية المغربية 1 ص 128 هامش: عبدالهادي التازي.

(2) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 255.

518 هـ) صاحب النَّزارية، والذي موقعه بمدينة قزوين[1]، شمال إيران، حيث قلعة ألموت الشَّهيرة، لا على العلويين النّصيرية.

فتاوى ابن تيمية

أفتى ضدهم شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت 728 هـ)، وهو الفقيه السَّلفي الشَّهير، ويبدو أن إفتاءه فيهم جاء مما يُقدم له من معلومات حوله، تأتي من استفسار أو سؤال يصوغه المستفتي بصياغته، وحسب سماعه أيضاً. فالشَّيخ لا يعلم الغيب، ولم يخالطهم بطبيعة الحال، إنما ما نُقل له عنهم، حتى ليس لديهم كتاب خاص بهم كي يقرأه، أو أن يحاجج شيوخهم فيه، وهذا يحصل مع معظم الفقهاء والمفتين في شأن المخالفين.

فمثلاً قُدم له السُّؤال الآتي: «سُئل عن طائفة من رعية البلاد كانوا يرون مذهب النُّصيرية، ثم أجمعوا على رجلٍ، واختلفت أقوالهم فيه، فمنهم مَن يزعم إنه إله، ومنهم مَن يزعم أنه نبي مرسل، ومنهم مَن ادعى أنه محمد بن الحسن[2]، فأجاب قائلاً: الحمد لله، هؤلاء يجب قتالهم ماداموا ممتنعين حتى يلتزمون

---

(1) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ 10 ص317.

(2) المقصود هنا المهدي المنتظر محمد بن الحسن العسكري، وليس محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مهدي آل محمد قُتل في زمن أبي جعفر المنصور السنة 145 هـ. نقول هذا لأن هناك ارتباطا بين ظهور المهدي وظهور النفس الزَّكية، فـ «قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسُّفياني، والصَّيحة، وقتل النَّفس الزَّكية، والخسف بالبيداء»(الكوراني، عصر الظُّهور، ص 113).

شرائع الإسلام، فإن النّصيرية من أعظم النَّاس كفراً بدون اتّباعهم لمثل هذا الدَّجال، فكيف إذا اتبعوا مثل هذا الدَّجال، وهم مرتدون من أسوأ النَّاس ردةً تقتل مقاتلهم، وتُغنم أموالهم، وسبي الذِّرية فيه نزاع»[3].

من المعلوم أن فكرة أو عقيدة المهدي المنتظر شائعة بين المذاهب كافة، بل إن ناكرها يُعد من الجاحدين، لأن فيها أحاديث نبوية، صنفها السُّنَّة والشِّيعة[4].

وأفتى أيضاً ضدهم قائلاً: «والنُّصيرية لا يكتمون أمرهم، بل هم معروفون عند جميع المسلمين لا يصلون الصَّلوات الخمس، ولا يصومون شهر رمضان، ولا يحجون البيت، ولا يؤدون الزَّكاة، ولا يقرون بوجوب ذلك، ويستحلون الخمر وغيرها من المحرمات، ويعتقدون أن الإله علي بن أبي طالب»[5].

ويتهمهم بإعانة التتار جمعاً مع الإسماعيلية والدُّروز[6]،

---

(3) النَّجدي، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 28 ص 553.

(4) راجع مثلاً عند الشِّيعة مثلاً: شيخ الطَّائفة الطُّوسي (ت 460 هـ): كتاب الغيبة، وكتاب محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، وعند السُّنَّة راجع مثلاً: عبدالعليم عبدالعظيم السَّنوي: المهدي المنتظر (الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتَّعديل) في جزئين، مكة: المكتبة المكية 1999، وكتب عديدة أُخر قديمة ومعاصرة.

(5) المصدر نفسه 28 ص 636.

(6) المصدر نفسه.

وينسب إليهم الفلكي المعروف نصير الدِّين الطُّوسي(ت 672 هـ)، وهو لا صلة لهم به، وليس معروفاً عنهم دعمهم للتتار وما هو معروف أن التتار جاءوا بالأصل للقضاء على القلاع الإسماعيلة، ومنها قلعة «ألموت» الشَّهيرة، وتلك قصة معروفة في التَّاريخ. وأفتى الشَّيخ ابن تيمية فيهم بالقتل عندما قال: «الغالية يقتلون باتفاق المسلمين، وهم الذين يعتقدون الإلهية والنُّبوة في علي وغيره، مثل النّصيرية والإسماعيلية، الذين يُقال لهم: بيت صاد، وبيت سين»[1].

الجيل الثَّاني:

كنا ذكرنا كُتيب «الجيل الثَّاني»، ونعود إليه هنا بتفاصيل، فأفردنا له فقرة خاصة لفظاعة ما ورد فيه ضد النُّصيرية. فلا يُنكر أن هناك إضافات وتلفيقات رويت ضد الطَّائفة، مثلما ورد في هذا الكتيب المستقى بمعلوماته مع الإضافات من «الباكورة السليمانية»، المار الذِكّر، وشأنهما في ذلك شأن ما تناوله كُتاب عن فرق وأديان أُخر.

إن اسم المؤلف، على ما يبدو، مستعار، ويُقدم نفسه بأنه كان نُصيرياً، ثم تحول بفضل أستاذه محمود، هكذا ورد في الإهداء، ويذكر في القصة أخاه الذي أخذ بيده وسانده في الخروج من تلك التقاليد والممارسات، وجعل اسمه في الكتيب «عدنان»، وأن أمه

---

(1) المصدر نفسه 8 ص 475.

اهتدت مِن النّصيرية إلى الإسلام على يده، والكتيب عبارة عن خلاصة تجربته مع أسرته النَّصيرية.

يدور الكُتيب حول عقيدة العلويين في التناسخ، التي ينفيها الذين كتبوا مِن داخلهم، مِن أن العلوي عندما يموت يتحول إلى كائن آخر، وفي حالة أبي ونوس، وهو النُّصيري برهوم الحاشوش، بطل القصة، ينسخ إلى كلب بعد موته، وصار يأتي إلى داره بهيئة كلب هزيل وأجرب أصلم الأذنين، وتتعرف عليه زوجته مِن خلال ما كان يحب مِن الطَّعام. وظل يُطرد مِن الجُمع وهو مكان العبادة لدى العلويين، ولما علم شيوخ النُّصيرية بالقصة قاموا وطردوا زوجته أم ونوس، لأن النّصيرية، حسب ما ورد في الكتيب، لا تقر للمرأة بدين.

تنتهي القصة بأن صحة الكلب الهزيل الأصلم الأذنين الأجرب، وهو النُّصيري برهوم الحاشوش، تتحسن نتيجة العناية الفائقة به، وصار مرهوب الجانب في القرية النُّصيرية، بين النَّاس والكلاب على حد سواء، وصار أحد معالم القرية ومقدَّمها، وبعد أن قتل ثعلباً شرساً هاجم القرية، فأخذ يلعق جرحه الذي سببه له الثَّعلب، وهي إشارة إلى أنه لعق النَّجاسة، وصار طريح الفراش بين أولاده وزوجته، ويأتون له بطبيب. تدور الأحداث بمنطقة طرطوس بسورية، ويظل برهوم الحاشوش كلباً يعرفه أبناؤه وأحفاده.

بعدها ينتكس بسبب مضاعفات الجرح، ويتحول إلى عضوض يخافه حتى حفيده «مخلوف»، فيُعزل في غرفة ويوصد دونه الباب، وخلال أسبوعين «يفطس» برهوم بعد أن ظهرت عليه

أعراض داء الكلب، وعلى زوجته أم ونوس أيضاً، لأنها اقتربت من زوجها وقبلته، وبعدها يأخذ المرض بالانتشار بالقرية، ويحصد الموت أهلها. هذا ويُختم كُتيب «الجيل الثَّاني» بحضور الشَّيخ العلوي سليمان أحمد سليمان، والد الشَّاعر الشَّهير بدوي الجبل (ت 1981)، والشيخ سليمان الوحيد الذي يشار إليه في الكتيب المذكور باسمه الصَّريح، قادماً من قرية حمين النُّصيرية التابعة لقضاء صافيتا، حاملاً البشرى لمن بقي من آل برهوم الحاشوش على قيد الحياة، وهو أن المقدم «قنص في بيت سليمان بدرة طفلاً «هكذا» في جيله الثّاني»[1].

ما جاء في «الجيل الثَّاني»، في نسخ برهوم الحاشوش إلى كلب ليس جديداً، فهذا الفقيه الشَّافعي الأشعري عبدالقاهر البغدادي (ت 429 هـ) يقول في قوم أطلق عليهم تسمية «أصحاب التَّناسخ»: «قال فريق منهم بتناسخ الأرواح في الصُّور المختلفة، وأجازوا أن يُنقل روح الإنسان إلى كلب وروح الكلب إلى إنسان، وقد حكى أقلوطرخس مثل هذا القول عن بعض الفلاسفة وزعموا أن مَن أذنب في قالب ناله العقاب على ذلك الذَّنب في قالب آخر»[2]. وهنا سحبها البغدادي على الفلاسفة.

بعد هذا الكتيب يصعب أخذ ما كُتب عن النُّصيرية كافة على محمل الجد، فالشَّيخ سلمان أحمد سلمان مثلما تقدم هو الذي

---

(1) حسين، الجيل الثَّاني: قصة واقعية تحكي عقائد النَّصيريين وعاداتهم، ص 112 – 115.

(2) البغدادي، الفرقُ بين الفرقِ، ص 253.

استشاره المؤرخ المعروف محمد كُرد علي، وأجابه بمنطق واضح، بأن طائفته شيعة إمامية، لكنه لم ينف ما دخلها من عادات وتقاليد عشائرية أو صوفية، لكن لم يصل الأمر إلى ليلة الباحية أو نُسخ برهوم إلى كلب أجرب. «إنما لهم طريقة كالنَّقشبندية والرِّفاعية وغيرها من الطُّرق الصُّوفية بالنِّسبة لأهل السّنَّة، وهذا مصدر التَّقولات الباطلة عليهم، وما أبرئ جهلتهم من كلِّ ما يُقال»[1].

فالشَّبك بالعراق مثلاً يقسمون إلى شيعة جعفرية وسُنَّة شافعية حالهم حال بقية الكُرد العراقيين، لكن عندما نقرأ كتاب «الشَّبك» لأحمد حامد الصَّراف (ت 1985) نجد فيه الهوائل عليهم، وكأنهم ليسوا أبناء هذه البيئة، وظهر أنه استمع لأحد الشَّباب الخارجين عنهم وقص عليه فأصدر كتاباً فيهم، من دون النَّظر في تأثيرات الطرق الصوفية فيهم مثلاً، وكذلك الحال بما كُتب عن الأيزيدية والصابئية المندائية «وهما ديانتان عراقيتان» من أكاذيب ومختلقات.

ألف الصَّراف كتابه المذكور بناءً على رواية الشَّبكي إبراهيم الملقب بالباشا، التقى به العام 1938، عندما كان يعمل مدعياً عام بالموصل، فأخذ بعد تمنع يسرد له ما يحصل بين قومه، لكنه شيعي إمامي ولا يعتقد بما يعتقد به قومه، فعقائدهم ضلال محض، لكنه

---

(1) علي، خطط الشَّام 6 ص 262.

ليس بوسعه المجاهرة بإماميته أمام الشَّبك[1]. ويجمع بينهم وبين البكتاشية، الفرقة الصُّوفية التي تأثر بها أيضاً العلويون بتركيا، وما جمعه بين عقائد الشَّبك وتلك الطَّريقة الصُّوفية، توصل إلى الآتي: التَّهاون بفروض الدِّين، وطلب المغفرة عما جنوه من معاصٍ أمام رجال الدِّين، والمغالاة بعلي بن أبي طالب إلى مستوى الإلوهية، وشرب الخمرة كتقليد ديني لديهم، بل أساس في العبادة لديهم[2].

ليلة الماشوش:

ما من فرقة مخالفة للمذاهب السَّائدة، إلا ورميت بتهمة ليلة «الماشوش» أو «الحاشوش» أو «الكفشة»، فمثلما تقدم ذكره عن مجلة «لغة العرب» نقرأ أن الآخرين أشاعوا عن الشَّبك أنهم يمارسون الجنس الجماعي في ليلة سموها بليلة «الكفشة»، وهو عيد «يجتمع فيه رجالهم ونساؤهم، شيبهم وشبانهم، ويطفئون الأسرجة، ويطلقون لأنفسهم أعنة الشَّهوات، ويحيون تلك الليلة بالخلاعة إلى أن ينفلق الصَّباح، فيذهب كل واحد إلى بيته، كأنه لم يأت منكراً»[3].

إن تهمة ليلة «الكفشة» أو «الماشوش» ليست جديدة إنما أتت

---

(1) الصَّراف، الشَّبك، ص 3 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه.

(3) الصَّراف، الشَّبك، ص 226 ملحق ما ورد في شأنهم في مجلة المقتطف، المجلد 59 السنة 1921، ص 230-232 .

في كتب مؤرخي الملل والنِّحل ومَن كتبوا في شأن الأديان الأُخر، فهذا أبوالحسن علي بن محمد الشَّابُشتي (ت 388 هـ) يروي وهو يتحدث عن دير «الخوات»، أي الرَّاهبات، الذي يقع بمنطقة عُكبرا[1]، القريبة من بغداد، تسكنه نساء مترهبات متبتلات، ويقع كبقية الأديرة وسط بساتين، وفيه يُقام عيد الصَّوم الكبير عند النَّصارى، يقول عن ليلة الماشوش فيه: «يجتمع إليه كلُّ مَن يقرب منه من النَّصارى والمسلمين، فيُعيِّد هؤلاء، ويتنزه هؤلاء، وفي هذا العيد ليلة الماشوش، وهي ليلة تختلط النِّساء بالرِّجال، فلا يرد أحد يده عن شيء، ولا يرد أحد أحداً عن شيء، وهو من معادن الشَّراب، ومنازل القصف، ومواطن اللَّهو»[2].

كذلك نُسبت ليلة الماشوش تلك إلى البابكية جماعة بابك الخرمي، وهي حركة يصفها باحثون بالفلاحية[3]، الذين ثاروا في الجبال أيام الخليفة العباسي المعتصم بالله (ت 227 هـ)، فقال البغدادي فيهم: «وللبابكية في جبالهم ليلة عيد لهم يجتمعون فيها على الخمر والزمر، وتختلط فيها رجالهم ونساؤهم، فإذا أطفئت سرجهم أفتض فيها الرِّجال النِّساء على تقدير مَن عزَّ بزَّ»[4].

---

(1) تقع بين بغداد والدُّجيل قديماً (الحموي، معجم البلدان 3 ص 142)، ومنها اللغوي أبوالبقاء العكبري (ت 616)، ومنها أيضاً الفقيه الشِّعي المعروف الشَّيخ المفيد محمد بن نعمان (ت 413 هـ).

(2) الشَّابُشتي، الدِّيارات، ص 60.

(3) راجع: حسين قاسم العزيز، البابكية، دار المدى 2000

(4) البغدادي، الفرقُ بين الفرق، ص 252.

أما تهمة المشاركة في النِّساء فقد أطلقها البغدادي، المتوفى السنة (429 هـ)، على جماعة البابكية «استباحوا المحرمات وزعموا أن النَّاس شركاء في الأموال والنِّساء»[1]. تلك التُّهمة القديمة أُطلقت ضد الأحزاب اليسارية أو الاشتراكية في الخمسينيات وما بعدها، وشاعت بالعراق ضد الشِّيوعيين مِن قبل خصومهم، وكأن هؤلاء لم يأتوا مِن هذا المجتمع، وما تقتضيه تقاليدهم.

هذا، وقد أطلق أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ) على القرامطة (حركة اجتماعية فلاحية بدأت بالكوفة 268 هـ) عدة أسماء منها الخرمية. قال: «وأما الخُرَمية فلقبوا بذلك نسبة إلى حاصل مذهبهم وزبدته، فإنه راجع إلى طي بساط التكليف، وحط أعباء الشَّرع عن المتعبدين، وتسليط الناس على اتباع اللَّذات، وطلب الشَّهوات، وقضاء الوطر من المباحات والمحرمات. وخرم[2] لفظ أعجمي ينبئ عن الشيء المستلذ المستطاب، الذي يرتاح الإنسان إليه بمشاهدته ويهتز لرؤيته، وقد كان هذا لقب المزدكية»[3].

ويضيف الغزالي قائلاً: «وقد بقي مِن البابكية جماعة يُقال لهم ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون سرجهم

---

(1) المصدر نفسه، ص 251.

(2) خُرَّم، مفردة فارسية محضة، وتعني: النَّاعم مِن العيش (شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، ص 54).

(3) الغزالي، فضائح الباطنية، ص 23. الفخري، تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان، ص 182 – 183.

وشموعهم، ثم يتناهبون النِّساء، فيشب كلُّ رجلٍ إلى امرأة يظفر بها. ويزعمون إن استولى على امرأة استحلها بالاصطياد، فإن الصَّيد مِن أطيب المباحات»[1].

يذكر حجة الإسلام أبو حامد الغزالي تلك الفضائح على السّماع، فانظر أنه قال: «يُقال». مع أن المسألة كانت محكومة بالدَّافع السِّياسي، حين كلفه خليفة عصره المستظهر العباسي (ت 512 هـ) خلال النِّزاع بين الدَّولة الفاطمية الإسماعيلية بمصر والخلافة العباسية ببغداد بتأليف «فضائح الباطنية»، ككتاب تثقيفي ضد الخصم، مثلما يجري في الوقت الحاضر بين دولة وأخرى، فلا يبقى النزاع بإطاره السِّياسي إنما يتعدى إلى الطَّعن بالدِّين والمذهب والسلوك. وشاهدنا على ذلك ما كتبه الغزالي نفسه في مقدمة كتابه: «حتى خرجت الأوامر الشَّريفة المقدسة النَّبوية المستظهرية بالإشارة إلى الخادم في تصنيف كتاب في الرَّد على الباطنية، مشتمل على الكشف عن بدعهم وضلالاتهم»[2]. يُسمَّى الكتاب بـ«المستظهري»، و«فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية»، نسبة إلى الخليفة المستظهر بالله.

هذا ما رميت به فِرقة الكاكائية، أو كا كائي، أيضاً، الموجودة بكركوك ومناطق أُخر مِن كردستان العراق. فينقل: «يحتم عليهم أن

---

(1) الغزالي، المصدر نفسه، ص 24.

(2) المصدر نفسه، ص 12 – 13.

يجتمعوا رجالاً ونساءً، في ليلة معلومة من السَّنة في محل مخصوص، يطفئون فيها السِّرج والأضواء، وتسمى عند أهالي تلك الأنحاء ليلة الكفشة، ومن النَّاس مَن ينسب هذه الليلة إلى اليزيدية، ومنهم مَن يعزوها إلى الشَّبك، ولعلها كذبة مختلقة، وكانت تعرف هذه الليلة في عصر العباسيين، أو في العصور المتوسطة بليلة الماشوش، وقد تركوا هذه العادة القبيحة منذ أن فهموا معنى الإسلام وفرائضه فهماً معقولاً»[1].

نجد عباس العزاوي (ت 1971) يتوهم عندما ينقل نصاً عن «لغة العرب» فينسب هذا القول إلى شخص يُدعى شكري الفضولي[2]، إنما جاء في المجلة المذكورة أن فضل الله الحروفي تبعهم على ذلك، وتبعه بعض البكتاشية في هذا الأمر.

تبقى هذه التُّهمة متداولة ضد النُّصيرية، ليوسع الأديب اللُّبناني الطرابلسي نوفل بن نعمة الله بن جرجيس نوفل (ت 1887) دائرة الاتهام إلى اتهام شيوخهم مباشرة، بعد أن يقسمهم إلى فرقتين: شمالية وكلازية، في الأخيرة: «وما حُرم أكله عند الشِّماليين فهو حلال عندهم، وكذلك يمتازون عن الشِّماليين بكون أئمتهم يعني أكابر المتجرين في الدِّين عندهم يلتزمون أن يُقدموا نساءهم إلى بعضهم بعضاً، ويسمَّون هذا الإكرام فرضاً لازماً وحقاً

---

(1) الأكراد الحاليون، مجلة لغة العرب، الجزء 6 السنة الثالثة 1913 ص 310.

(2) العزاوي، كاكائية في التَّاريخ، ص 74.

واجباً، ويحكمون على مَن يخالفه بعدم الدُّخول إلى الجنة»[1].

ولاضطراب التهمة نجد نوفل بعد سطر واحد يقول في شأنهم: «وكلا الفريقين متفقان على تحريم الزِّنا»[2]. فكيف نفهم اتفاق تحريم الزِّنى مع التهادي بالزَّوجات! وهم لم يهبطوا من كوكب آخر، أو يتحدروا من مجاهل الغابات حيث تعيش الجماعات المتوحشة، التي يصعب تصور حدوث هذا الخُلق بينهم، إنما يعيشون بحدود طرابلس حيث ولد وعاش الأديب نوفل.

نتوقف عند هذا الحد فالحديث عن تلك الليلة والجماعات التي اتُّهمت بها طويل وطويل، وسيخرجنا عن دائرة موضوعنا، لكن قبل ختام هذه الفقرة نأتي بشيء من معاني الماشوش أو الحاشوش، وماذا تعني في أصلها العبادي، حتى استغلت في المطاعن بين الفرق والمذاهب.

خلاف ما جاء به وأذاعه الشَّابُشتي في شأن ليلة أو عيد الماشوش، نجد الإنصاف والحيادية في الكتابة عن الآخر المختلف لدى أبي الرِّيحان البيروني (ت 440 هـ) في كتابه «الآثار الباقية عن القرون الخالية»، وهو يتحدث عن أعياد النَّصارى النَّسطورية، وذهنية بعيدة عن التَّعصب والكراهية، وتأويل ما عند الآخرين من

---

(1) نوفل، سوسنة سليمان في أُصول العقائد والأديان، ص 232 - 233.

(2) المصدر نفسه، ص 233.

مقدسات بما يسيء لهؤلاء، فما الماشوش، حسب البيروني، سوى مناسبة دينية مقدسة لا إباحية مثلما كتب الشَّابُتشي، أو ربَّما مَن أدخلها في كتابه من النُّساخ، وشاعت وذاعت بما يُرمى بها كلُّ مخالف لمذهب الكاتب.

قال البيروني نصاً: «وأما ليلة الماشوش، وهي ليلة جمعة زعم الذَّاكرون لها أنهم يطلبون فيها المسيح، فقد اختلفوا فيها، فبعضهم قال: إنها ليلة الجمعة التَّاسعة عشر من صوم إيليا. وبعضهم قال: إنها الجمعة التي صُلب فيها المسيح وهي الصَّلبوت. وبعضهم قال: إنها جمعة الشُّهداء وهي بعد الصَّلبوت بأسبوع. والتَّرجيح القول الأول بين الثلاثة الأقاويل. وإذا عُرف أول الصَّوم في السَّنة المقصودة، وأدخل في جدول صوم المستوية، إن كانت السَّنة مستوية، أو في جدول صوم الكبيسة إن كانت كبيسة، وجد بحيلة في جدول الأعياد الموصولة بالصَّوم ما بعده مما ذكرنا وصوم نينوى المتقدم له، وهذا هو الجدول»[1]. ويأتي بالجدول الزَّمني لتلك المناسبات مرسوماً في كتابه.

إن إطفاء النُّور في ليلة حزن مثل هذه لا تعني الإباحة، إلا في الأذهان المشوشة، بقدر ما تعني استلهام الحدث، وهو نوع من التَّعبير بسواد الظَّلام وحلكته عن الحزن العميق، وعدم التمتع بالنُّور وأجواء البهجة والفرح التي يبثها في النُّفوس، وهذا ما يحصل

(1) البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص 311.

في المجالس الحسينية أيضاً في الليلة التي يُقتل الإمام الحسين في صباحها، العاشر من محرم أو عاشوراء، احتجاجاً ورغبة طاغية في المواساة، وهذا ما كان يمارس لا أكثر.

من جانبه يُضيف الكرملي موضحاً: إن الكلمة آرامية الأصل، من وضع النَّصارى العرب، وتلفظ بحرف الحاء «الحاشوش»، ومعناها المتألم والمفعول والمنفعل والحاس، وفيها إشارة إلى جمعة الآلام أو جمعة الصَّلب، مثلما أشار إليها البيروني، أي فيها يتم تذكر آلام أحد الآباء الأقدمين تأسياً بالسَّيد المسيح. أما اليوم فيسميها مسيحيو بغداد بجمعة الآلام، وأهل الموصل وما جوارها يسمونها بجمعة «الحاش»، وتسمى أيضاً الجمعة الحزينة وجمعة الآلام والجمعة الكبيرة. ويُعلق الكرملي قائلاً: «وما نسبه ظلماً بعض الكتبة إلى النَّصارى سبقهم غيرهم إلى مثل هذا القول وعزوه إلى القرامطة»[1].

حتى أن عند القضاء على الدَّولة القرمطية بالبحرين والإحساء، السنة 467 هـ، قال الشَّاعر جمال الدِّين علي بن المُقَرَّب العُيُوني (ت نحو 629 هـ)، وهو من بيت الإمارة العيونية[2]، مادحاً أبا شكر المبارك الحسن بن أبي مقرب العُيُوني (ت 500 هـ) الذي

---

(1) فوائد لغوية: ليلة الحاشوش وليلة الماشوش، مجلة لغة العرب، الجزء الخامس، السنة الثَّامنة، المجلد الثَّامن، ص 368 - 369.

(2) الزِّركلي، الأعلام قاموس تراجم 5 ص 175.

قضى على القرامطة وأبطل ليلة الماشوش المفترضة[1]:

منا الذي أبطل الماشوش فانقطعت

آثاره وانمحى في النَّاس وانطمسا

وإذ ينفيها الكرملي عن النَّصارى، وهو صادق في نفيه، لكنه يتردد في نفيها عن القرامطة، عندما يقول: «فترى من هذا الكلام أن ما نسبه بعضهم إلى النَّصارى نسبوه جوراً وظلماً، إذ هو خاص بالقرامطة، إن كانت الرّواية صحيحة»[2].

مِن جانبه أيضاً ينفي حبيب نيقولا الزَّيات (1871 -1954)، وهو مِن المؤرخين المعروفين ليلة الماشوش، قائلاً: «والصَّحيح أن هذه التُّهمة القبيحة، التي تحامل بها بعض خصوم النَّصرانية على رهبان الأديار، كانت شائعة معروفة في بغداد، منذ أوائل الخلافة العباسية، فهي تقدمت نشأة القرامطة، وقد نص عليها أبو نواس في بيت له في بهروز، قال فيه:

نقي في الولادة عن مشوشٍ يرخصه النَّصارى للقسوس»[3].

---

(1) فوائد لغوية: ليلة الحاشوش وليلة الماشوش، مجلة لغة العرب، الجزء الخامس، السنة الثَّامنة، المجلد الثَّامن، ص 369.

(2) المصدر نفسه، ص 370.

(3) زيات، الدَّيارات النَّصرانية في الإسلام، ص 109. لقد بحثنا عن هذا البيت في نسخ المتوافرة لدينا مِن ديوان أبي نواس ولم نجد له أثراً.

لكلٍّ هذا وغيره يُحرم الزَّواج من المرأة النُّصيرية، وعلى وجه الخصوص مِن أهل السُّنَّة، وهنا لا نعمم، فربَّما هناك مِن علماء الدِّين مَن لهم رأي آخر مختلف، أو يتجاوز ما يشاع عنهم كالذين أفتوا بأنهم مسلمون، وتجب معاملتهم هكذا، مثلما طرح ذلك مفتي القدس أو الدِّيار الفلسطينية أمين الحسيني العام 1936.

وشاهدنا القصة الآتية: فتاة تزوجت مِن علوي، وأستفتت أحد الفقهاء مِن أهل السُّنَّة فأجابها قائلاً: «لقد أسأت إلى نفسك وإلى أهلك بسفرك والزواج من هذا الرَّجل، والأوْلى لك أن ترجعي حرصاً على دينك وخوفاً من الفتنة، فزوجك يعتنق المذهب العلوي، وهو يخالف كثيراً مذهب أهل السُّنة والجماعة في كثير من الأصول والثوابت التي لا يمكن المساس بها، وإن كان يحسن عشرتك ولا يظلمك فهذا أمر قد لا يطول ولا نأمن عليك أن تنقادي وراء معتقداته بحجة إرضائه وتجنب غضبه فتكوني أرضيت مخلوقاً وأغضبت خالقاً، والنَّبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. هذا والله أعلى وأعلم»[1].

إذا كان هناك مِن تقولات ظهرت ضد النُّصيريين العلويين فهي ليست كلها خاطئة، فقد ظلوا فترة طويلة بعيدين عن ممارسة الإسلام كعبادة ومعاملات، في الحدود المعروفة، وذلك بسبب

---

(1) موقع هدي الإسلام:
http://www.hadielislam.com/arabic/index.php?pg=fatawa2%Ffatwa&id=909.

عزلتهم وتقوقعهم على ذاتهم، وهيمنة التَّقاليد الصُّوفية عليهم، فهم لم يبدأوا ببناء المساجد وممارسة صلاة الجماعة والجمعة إلا في منتصف القرن الثَّالث عشر الهجري[1].

جاء هذا باعتراف الشَّيخ عبدالرَّحمن الخيِّر وليس غيره، أحد مشايخهم والذَّاب عنهم في المحافل. وفي القرن الرابع عشر الهجري بدأوا بالاتصالات مع علماء الجعفرية بجبل عامل والنَّجف، كي يتصلوا بالعقيدة الأولى قبل ابتعادها عن الجعفرية في قضية السُّفراء مثلما تقدم. كذلك في محاولات فك العزلة ولاقتراب من بقية المسلمين عقدوا لقاءات مع أهل السُّنة[2].

فتذكر في هذا المجال جهود حثيثة مع علماء النَّجف «اتصال اندماج، وعُقدت لهذه الغاية اجتماعات سنة 1936 و1938 أسفرت عن تأكيد صفة الإسلام والتَّشيع المعتدل والعروبة، وجرت محاولات أخرى سنة 1952 أسفرت عن إسباغ هذه الصفة عليهم رسمياً من قِبل مفتي الجمهورية السُّورية. تم عقد مؤتمر كبير ألح على هذه الصفة في سنة 1972، وانتهى بإصدار منشور يتضمن هذا الإنجاز، وقعه ثمانون من فقهائهم»[3].

---

(1) الخيِّر، عقيدتنا وواقعنا، ص 37

(2) المصدر نفسه، ص 39 - 42.

(3) الشِّيبي، الصِّلة بين التَّصوف والتَّشيع 1 ص 159 عن كراس العلويين شيعة أهل البيت، ص 9-10.

كذلك استقبلت حوزة النَّجف الدِّينية طلبة علويين للدراسة فيها «للقيام بمهمة الإرشاد الدِّيني والاجتماعي، وكان ذلك سنة 1948، وكان مبعوث لهذا الغرض الشَّيخ محمود مرهج وتلت هذه بعثة أخرى أرسلها الفقيه العاملي الشَّيخ حبيب آل إبراهيم، وقام بنفقتها المرجع المرحوم السَّيد محسن الحكيم... ولم تنقطع البعثات الدِّينية إلى النَّجف منذ ذلك التَّاريخ، كما تقتضي طبائع الأشياء وأثمرت عن كتابة من المصنفات الفقهية والكلامية والأُصولية بأقلام كُتاب من النُّصيرية السَّابقين منهم الشَّيخ محمود مرهج المبعوث الأول المذكور، وأحمد تفاحة وغيرهما»[1]. حينها أُرسل الشَّيخ محمد رضا شمس الدِّين (1956) مبعوثاً من مرجعية النَّجف لتفقد أحوال النُّصيريين ورشدهم وتعليمهم، وإنه قد شاهد وجود مسجد في ديارهم مقام منذ 1906، وفي العام نفسه أدى أول علوي فريضة الحج بمكة[2].

لكن ما يُقلل من أهمية ذلك الاتصال بالمرجعية الشِّيعية الإثني عشرية بالنَّجف هو وجود الحاجز بين التَّشيعَين. قال الشَّيخ العلوي عبدالرَّحمن بالخيِّر: «أُرسل في عام 1946-1947 وفد يتألف من بضعة عشر طالباً من شباب الجماعة، التي نتحدث عنها إلى النَّجف الأشرف يدرسوا فيه الفقه، ويعودوا في سبيل الإرشاد والتَّعليم الدِّيني. ولم يكن الجو التَّربوي لدى أولئك الطُّلاب مواتياً،

---

(1) المصدر نفسه 1 ص 160 عن محمد رضا شمس الدِّين، العلويون في سوريا، بيروت 1956 ص 49.

(2) المصدر نفسه عن شمس الدِّين أيضاً.

كما لم تكن النَّظرة إليهم في الجو الطُّلابي والتَّعليمي في جامعة النَّجف مواتية، فعاد أكثرهم قبل أن يحصل على قسط واف يمكنه القيام بعمل مفيد»[1]. فهم في تلك السَّنة بالضبط كانت الصُّحف السُّورية تسمي شيخهم «رب العلويين» و«نبي عربين»[2]، وعربين مدينة تقع شمال دمشق. فتأمل المحنة. وآنذاك كان شبابهم يُرفضون من الدِّراسة في المدارس الشرعية السورية، لخصوصيتهم المذهبية، وما لحقهم من ماضيهم[3].

في الموقف من الخمر يُشاع أن هناك تساهلاً علوياً اجتماعياً إلى حدٍ ما وليس دينيا، وإن كان لا يرضى به شيوخ الطَّائفة، وعدم الالتزام الدِّيني، وهذا ما يبدو واضحاً في كتاب الشيخ الخيِّر، في إشارته إلى حداثة اتخاذ المساجد والمدارس الدينية. لكن على العموم، بسب الصُّوفية الطَّاغية على المجتمع النُّصيري العلوي وعدم التزمت في التدين وابتعادهم عن السياسة بشكل عام يصعب تشكيل كيان حزبي ديني، أي يستبعد أن يقام حزب الله مثلاً بينهم، أو أي حزب سياسي مبني على فكرة دينية.

نقول هذا، لأن هناك مَن ربط بين النُّصيريين، وأخذهم بالنِّظام السُّوري، وتأسيس حزب الله بسورية العام 1982، بتدبير

---

(1) خيِّر، عقيدتنا وواقعنا، ص 73.

(2) المصدر نفسه، ص 51.

(3) المصدر نفسه، ص 72.

إيراني ثوري. لكن هل تجد نُصيرياً علوياً برز قائداً فيه، أو بان نشاط لهذه الطَّائفة داخل الحزب المذكور؟! يغلب على الظَّن لا يوجد، وإن وجد فأفراد يتحملون مسؤوليتهم الشَّخصية تجاه هذا الانتماء.

إنما برز منهم مفكرون في القومية العربية مثل زكي الأرسوزي، وبرز منهم مثقفون وشعراء ذاع صيتهم، نذكر منهم:

بدوي وأدونيس

في ختام هذا الفصل نلفت النَّظر إلى نماذج مِن مثقفي الطَّائفة، ممَن اشتهر شعرهم وتغنى به العرب المسلمون مِن سُنة وشيعة. فالشَّاعر السُّوري المعروف بدوي الجبل (ت 1981) كان نُصيرياً[1]، ووالده من شيوخ الطَّائفة وهو سليمان أحمد سليمان، ويغلب على الظَّن هناك صلة ما بين لقبه الجبل والجبل المعروف بالنُّصيرية، كونه قادماً مِن هناك، مع أن ذلك لم يُلفت نظر أحد، فكان يُنظر إليه بشاعر سورية والأمة العربية، تعرض للاعتداء

(1) ابن الشيخ سليمان أحمد سليمان، ولد بقرية ريفا قرب اللاذقية، درس الحقوق، ترك الدراسة وناضل ضد الانتداب الفرنسي، وسجن مدة أربع سنوات، تولى عدة حقائب وزارية 1954 – 1956 بسورية كوزارة الصحة ، والاقتصاد، والدِّعية والأنباء، عُرف ببدوي الجبل وهو في سن الرابعة عشر من عمره، نشرها له يوسف العيسى صاحب جريدة ألف باء بهذا موقعة بهذا الاسم، وحجته في اختيار هذا الاسم له: «إن النَّاس يقرؤون للشُّعراء المعروفين، وهذا التَّوقيع المستعار يحملهم على قراءة الشِّعر للشِّعر»(يوسف، تتمة الأعلام للزركلي 2 ص 164). ويبقى ظننا قائماً في أن الاسم اختير له بغاية إبعاد نسبته إلى الطائفة.

بالضرب بعد عودته إلى سورية 1967 وكتابة قصيدته «مِن وحي الهزيمة»، وظل غائب عن الوعي لشهر، فيُذكر عنه أنه كان جريئاً في بعض مواقفه[1]. كان مطلع القصيدة:

رمل سيناء قبرنا المحفورُ

وعلى القبر منكر ونكيرُ

كذلك أن الشَّاعر والكاتب علي أحمد سعيد المعروف بأدونيس مِن أبناء هذه الطَّائفة، وأن موقفه مِن الثَّورة السُّورية لا صلة له بانتسابه إلى الطَّائفة، إنما كغيره يحذر مِن هيمنة الإسلام السِّياسي المتشدد لا أكثر. وبسبب رأيه هذا راح يُهدد بالقتل، وقد أصدر مثقفون بينهم مِن الوجوه المعروفة بياناً تضامنياً معه[2].

---

(1) المصدر نفسه.

(2) جاء في البيان: «في خضم الانتفاضات الشعبية الداعية إلى ولادة عصر عربي جديد يعلي راية العقلانية ويحترم كرامة الإنسان ويعزِّز حقوقه ويصون حرياته. في هذا الخضم يطالعنا على صفحات الإنترنت إطلاق تهمة بالغة الخطورة بحق الشاعر أدونيس، تهمة تنطوي على دعوة تحريضية إلى اغتياله، وهو لم يتقن، على مدى عمره، سوى صناعة الكلمة البليغة معبِّراً بها عن فكره ووجدانه شعراً ونثراً. حيال هذا التهديد الخطير، وانتصاراً لحرية الرأي والتعبير والمعتقد التي تكفلها الشرائع والقوانين، ودفاعاً عن حق الإنسان في الاجتهاد والخلاف والاختلاف، نحن الموقعين أدناه نجمع، من حيث المبدأ، على التضامن مع الشاعر أدونيس في مواجهة ما يتهدده من خطر على حياته كما ندعو إلى إطلاق حملة اجتماعية ثقافية واسعة تقف بالمرصاد لتيارات التخلُّف والظلامية والتكفير التي تعمل على تزييف الوعي والتحريض على التخوين والاغتيال». التواقيع: د.يمنى العيد، د.محمد المجذوب، د.صادر يونس، أ.كريم مروّة، د.عصام خليفة، د.أحمد بعلبكي، د.محمد علي مقلّد، أ.حمزة عبود، د.عبدالله رزق، د.حسان حمدان، أ.محمد دكروب، د.فهمية شرف الدين، د.خيرية قدوح، د.كامل مهنّا، د.أنطوان حداد، المحامي مصطفى الأسير، د.ابراهيم بيضون،

أقول: ألا فكرنا لماذا يستخدم شاعران معروفان في الوسط العربي والمسلم أسماء غير اسميهما؟! الجواب، بما يغلب ظننا، هو البعد عن النَّظرة التي أصيبت بها طائفتهما، ولا يريد الآخرون المتعصبون معرفة واقع الحال.

كان الجبل صوت سورية ضد الفرنسيين، وسجن في أيام الانتداب، وبعد حين عندما احتلت ألمانيا الهتلرية باريس، خلال الحرب العالمية الثَّانية، عمد إلى تذكير الأخيرة قائلاً بيته الشَّهير من قصيدة «أني لأشمت بالجبار»:

سمعتُ باريس تشكو زهو فاتحها

أما تذكرتِ يا باريس شكوانا[1]

وله من قصيدة «يوم الجلاء» (17 نيسان /أبريل 1946)، ما يشير به إلى أن دمشق ابنة الأمويين، ومعلوم ماذا تعني الأموية والتراث الأموي مع العلوية، وهو ليس شخصاً عادياً إنما كان ابن شيخ الطَّائفة:

د.مسعود ضاهر، د.سونيا الدبس، د.جورج سعد، د.ناصيف نصّار، د.أنطوان سيف، المحامي جميل جبران، المحامي ماجد فياض، أ.عمر فاضل، أ.سهيل مطر، د.فاديا كيوان، أ.جورج أصاف، د.بتول يحفوفي، د.أكرم سكرية، د.رغيد الصلح، المحامي سليمان تقي الدين، د.بسام المقداد، أ.حبيب صادق. بيروت في 2012/5/15 (جريدة الأخبار اللبنانية، العدد 1708 المؤرخ في الأربعاء 16 أيار (مايو) 2012).

(1) قصيدة أني لأشمت بالجبار، عن موقع أدب، على الرَّابط: http://www.adab.com.

بنت مروان اصطفاها

ربّها لا يشاء الله إلاّ ما تشاء

هي في غسان لا بأس وندى

وفي الإسلام فتح وبلاء[1]

لنا في قصائد هذا الشَّاعر النُّصيري، وهو ابن شيخ الطَّائفة سليمان الأحمد، الذي قيل ما قيل فيه، دلالة على أن النُّصيريين ليس بالسوء الذي يوصفون به، وهو نجل الذي جُعل في كُتيب «الجيل التَّالي» أحد عراب فكرة التناسخ، ولننظر في قصيدة نجله محمد سليمان أحمد سليمان، وقد عُرف ببدوي الجبل «الكعبة الزَّهراء»:

ويا رب: لم أشرك ولم أعرف الأذى

وصنت شبابي عنهما ومشيبي

وإنّي وإن جاوزت هذين سالما

لأكبر لولا جود عفوك حوبي

وأهرب كبرا أو حياء لزلّتي

---

(1) قصيدة يوم الجلاء، المصدر نفسه.

ومنك، نعم، لـــكن إليك هروبي

وأجـــلو عيوبي نادمـــات حـــواسرا

وأستر إلاّ في حـــماك عيوبـــي

وأيّ ذنـــوب ليـــس تمحى لشـاعر

معنّى بألوان الجـمال طـــروب

ولو شهدت حور الجنـان مـدامعي

ترشّفن في هول الحساب غروبي

مدحـــت رسول الله أرجـــو ثوابه

وحاشا الندى أن لا يكون مثيبي

وقفت بباب الله ثمّ ببابه

وقوف ملحّ بالسّـــــؤال دؤوب

صفاء على اسم الله غير مكدّر

وحب لذات الله غيـــر مشوب

وأزهى بتظليل الغمام لأحمـــد

وعذب بـرود من يديه سروب

فإن كان سـرّ الله فوق غمـامة

تظلّ ومـاء سائغ لشـــروب

ففي معـــجز القرآن والـــدَّولة

التي بناها عليه مقنع للبيب[1]

(1) قصيدة الكعبة الزَّهراء ، المصدر نفسه.

الفصل الثَّالث

محاولات الدِّفاع والتَّعديل

في الدِّفاع عنهم صدرت عدة كتب مِن شيوخ وشخصيات علوية، استفزها ما يُقال ويُشاع عن طائفتهم، فهم يرون أنه تشويه قُصدت به، واعترفوا أن لهم جُهَّالهم ومغاليهم. لكن أي مذهب وأي دين خلا مِن تلك النَّماذج، فلماذا تؤخذ الطائفة بكاملها بتلك الفئة.

فربَّما لا يوجد مَن يطعن بالعلويين مِن المنتمين للمذهب الجعفري في الوقت الحاضر، بل على العكس بعد أن خرجت تصريحات العلويين بالانتماء الصَّريح إلى الجعفرية أخذ علماء الجعفرية بالاقتراب منهم، لكن كتب علماء الشَّيعة الأقدمين، مثلما تقدم، كانت ملأى ضد أول وأبرز رجالهم أبي شُعيب محمد بن نصير النُّميري، حتى رمي بالكذب والادعاء والغلو إلى غير ذلك. لأنه لم يعتقد بالسَّفارة للمهدي، واعتقد بنفسه باباً للمهدي في غيابه. إنه خلاف ليس سهلاً بل يبنى عليه ما بعد الغيبة، وما بعد السَّفارة، وهو عدم تقليد مراجع الإثني عشرية الذين يعتبرون امتدادا لسُّفراء المهدي الأربعة، على الرَّغم مِن تصريحات بعض العلماء بأنهم يهتدون برسائل الفقهاء.

من كتب النُّصيريين العلويين في الدفاع والتعديل عن

طائفتهم: «أوهام المؤلفين في أحوال العلويين» للشيخ العلوي تمام أحمد، وكتاب الشَّيخ العلوي عبدالرَّحمن بالخيِّر «عقيدتنا وواقعنا»، وقد ذكرنا جانباً منه. وربَّما أول قلم علوي تناول طائفته هو محمد أمين غالب الطَّويل، في كتابه «تاريخ العلويين»، الذي هاجر من كليكيا التركية إلى اللاذقية ليصبح عضواً في محكمة بداية اللاذقية، في دولة العلويين (1920)، وكان قبلها يعمل في الشرطة العثمانية برتبة مدير شرطة ولاية[1]. وهذا يعني أن تغيراً حصل في العقلية العثمانية تجاه أبناء هذه الطَّائفة، وإن كان محدوداً ومتأخراً، أي حصل هذا في الفترة الأخيرة من العهد العثماني.

صار هذا الكتاب، الذي كُتب قبل 1919- 1920 مصدراً أساسياً لمن بحث بحيادية عن أصل العلويين وتاريخهم وعقائدهم، على الرَّغم من وجود ملاحظات لفقهاء من الطَّائفة عليه ذكرها تفصيلاً عبدالرَّحمن بالخيِّر، بينما مال الذين كتبوا ضد الطَّائفة العلوية إلى كتاب الباكورة السُّليمانية السَّابق الذكّر، وأتى الطَّويل على قصة الأذني، وكيف تحول إلى المسيحية وقُتل وهو يرتدي ثياب الرُّهبان.

لقد صار الكتابان، على اختلاف توجهما، مرجعين لتاريخ هذه الطَّائفة. كذلك يشعر الباحث بحيادية ما كتبه هاشم عثمان وهو باحث سوري في كتابيه: «العلويون بين الأسطورة والحقيقة» (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات 1994). ثم لحقه بكتاب «تاريخ العلويين وقائع وأحداث (بيروت، مؤسسة الأعلمي

---

(1) الطويل تاريخ العلويين، مقدمة الشَّيخ عبدالرحمن الخيِّر.

للمطبوعات 1997). ونعيد ذاكرين، بعد كتاب الطَّويل، كتب الشَّيخ العلوي عبدالرَّحمن الخيِّر (1904-1986) ومنها تحت عنوان «عقيدتنا وواقعنا... نحن المسلمين الجعفريين العلويين» صدر بعد وفاته (دمشق 1991)، ويؤكد أنهم جعفريون أو اثنا عشرية لا يتميزون بشيء.

قدم لكتاب «عقيدتنا وواقعنا» رئيس الجمهورية العربية اليمنية (1967-1974) الأسبق عبدالرَّحمن يحيى الأرياني (ت 1998)، كتبها قبل الوحدة اليمنية بأحد عشر عاماً، وكان بالأساس رداً على أحد الأكاديميين عن النُّصيرية. لما زار الأرياني سورية ذهب إلى طرطوس وسأله البعض عن الزَّيدية باليمن، ماهو مذهبهم، فقال لهم: يؤمن بفقه المذاهب الأربعة، ويميل أكثر إلى الحنفي منها، أما في الأصول فمعتزلي، وأتى بمثال عندما يوجه النَّاس طائفياً تحدثت الكراهية والحط من الآخر، فكان باليمن يقول الشَّافعيون ضد الزيدية: «إحنه شوافع والمذاهب أربعة / والمذهب الخامس على دين المسيح»[1].

شاهدنا أن الخيِّر اعتبر مقدمة الأرياني اعترافاً بما يجهد في سبيل تثبيته، ألا وهو إبعاد تهمة إسلامية طائفيته، لكثر ما يشاع ويجدد تداوله. مثل ذلك نقرأ في كتاب العميد أحمد عباس «أصول الدِّين عند الشِّيعة العلويين» (بيروت: دار المنتظر 2000)، وليس فيه ما يميز عقيدتهم الدِّينية عن أصول الدِّين عند الشِّيعة الجعفرية: التوحيد والعدل والنُّبوة والإمامة والمعاد؟

---

(1) الخيِّر، عقيدتنا وواقعنا، ص 9 من مقدمة عبدالرَّحمن الأرياني.

أما كتاب أحد الذين يعتبرون كمؤسسين في الطَّائفة وهو الحسين بن حمدان الخصيبي (ت نحو 334 هـ) «الهداية الكبرى»؛ فقلنا كم فيه مِن الغلو بالإمام عليٍّ وأولاده، وهو عبارة عن تاريخ في (المعصومين)، حسب العقيدة الشِّيعية، وهو لا يميز الطَّائفة العلوية عن الشِّيعة الجعفرية أو الإثني عشرية بشيء إلا بذكره لابن نُصير كصاحب منزلة عند المهدي المنتظر بعد خروجه مثل ما تقدم! وشأنه شأن كتاب «بحار الأنوار» لمحمد باقر المجلسي (ت 1699 هـ)، أحد أبرز فقهاء الفترة الصَّفوية. بعدها لا نغفل جهود البحاثة السُّوري محمد كرد علي (ت 1953) في محاولة تقصي الحقيقة مِن أحد شيوخهم، أو وجهائهم، عندما ألف كتابه «خطط الشَّام».

مِن الشِّيعة الجعفرية كان كتاب «العلويين والتَّشيع» للشيخ علي عزيز الإبراهيم، وهذا ما سنتناوله بشيء مِن التفصيل. أما مِن خارج الشِّيعة، فكان كتاب «إسلام بلا مذاهب» لمصطفى الشَّكعة هو الأكثر حيادية وحرصاً على توخي الحقيقة، والشَّكعة في كتابه كان باحثاً حراً، ولعل مهمة كتابه زادت التقيد بالحيادية وبمحاولة النَّظر الإيجابية للمذاهب، كيف لا وهو يريد جمع المسلمين في مذهب واحد، هذا ما يُفهم مِن عنوان كتابه «إسلام بلا مذاهب»، وسننظر في هذا الكتاب نظرة سريعة لاحقاً.

الشَّيخ علي عزيز إبراهيم، تحدر مِن طرابلس لبنان، ودرس بالنَّجف حتى 1971، وكُلف وظيفة مفتي الجعفرية بطرابلس بالوكالة، وربَّما توهم الباحث الشَّكعة عندما قال عنه: «لقد زارني

في بيتي من هذا الطِّراز من الشَّباب شيخ شاب، هو السَّيد علي عزيز إبراهيم العلوي، وكان قد عرف أني أعيد كتابة الفصل المتعلق بقومه من كتابي هذا، وقضى عندي بعض الوقت يبين لي أن العلويين ليسوا بالصُّورة التي صورها بها أعداؤهم»[1].

فعندما نميز بين عِمامة الشَّيخ العلوي عبدالرَّحمن الخيِّر والشَّيخ الإبراهيم نجد الفرق بائناً، فعمائم الجعفرية لها طراز تدل عليهم، وهي صماء بيضاء للشيوخ من غير سلالة الرَّسول وسوداء لسلالة الرَّسول. وتأتي عمائم العلوية، وقياسي على عمامة الشيخ الخيِّر أنها تشبه في طرازها عمائم أهل السُّنَّة، لكنها صماء، أي بلا ذؤابة، طرفها يكون مرخياً بين كتفي معتمرها، وسماها جمال الدِّين يوسف المعروف بابن المبرد (ت 909 هـ) بالفاسقية لعدم إخراج ذؤابة منها[2]، ونجدها الأقرب لطراز عِمامة شيخ الدُّروز.

نشر الإبراهيم، في مقدمة كتابه، رسالة وردته من المرجع السَّيد محسن الحكيم (ت 1970) عندما قدم له ما كتبه عن العلويين، ومع الرِّسالة حوالة مالية لم يذكر مقدارها مع عبارة «للمساعدة في ما أنتم فيه». وبعد حين تسلم رسالة من المرجع شهاب الدِّين المرعشي (ت 1990)، من مراجع الشِّيعة بإيران، مع تكليفه بوكالة جبي الحقوق الدِّينية، والتي تعرف بسهم الإمام، وصرفها في

---

(1) الشَّكعة، إسلام بلا مذاهب، ص 367.

(2) ابن المبرد، دفع الملامة في استخراج أحكام العَمامة، ص 112 – 113 وص 128–129.

ترويج الدِّين والخدمات، وذلك العام 1975. ورسالة تأييد لما كتب في شأن العلويين من السَّيد موسى الصَّدر (اغتيل 1978)، طالباً منه الآتي: «أن تخصص هذا الموسم في البلاد العلوية الكريمة، وتتنقل بينهم وتقوم بدور الوعظ والتَّوجيه والإمامية»[1].

قَدم للكتاب فقيهان لبنانيان، شيعي وهو السَّيد محمد حسين فضل الله (ت 2010)، وسُني هو الشَّيخ مصطفى الرَّافعي (ت 2000)، ويبدو الأخير من الشَّخصيات الفاعلة في محاولة الحوار بين المذاهب والتَّقارب في ما بينها، فله كتاب «تاريخ الفقه والفقهاء عند المذاهب السِّتة» (1994)، وهي: الحنفي، والشَّافعي، والمالكي، والحنبلي، والجعفري، والزَّيدي. مع أن الحوارات تجري الآن بين السَّبعة بإضافة الإباضي لها، وهو المذهب الرَّسمي بسلطنة عُمان.

وإذا شدد السَّيد فضل الله على الحوار بين المذاهب، وطالباً عدم إخفاء المذاهب لعقائدها لأنه ذلك لا يخدم استمرارها، ويرمي في ذلك إلى العلويين، وأن الكتاب عبر عن مفردات العقيدة العلوية الشِّيعية الإسلامية[2]، جاءت مقدمة الشَّيخ الرَّافعي تأييداً للانفتاح والحوار واعترافاً بالعلويين ضمن المذهب الخامس، فقال: «لقد وجد المؤلف، كغيره من العلماء المنفتحين، أن ما بين المذاهب الإسلامية السُّنَّية والمذهب الإمامي الجعفري الذي يطبقه، إلى

---

(1) الإبراهيم، العلويون والتشيع، المقدمة.

(2) المصدر نفسه، ص 3.

جانب الشِّيعة الإثني عشرية، العلويون في سوريا ولبنان، وفي كلِّ مكان مع اختلافات طفيفة ليست في الحقيقة سوى وجهات نظر في الفروع مِن زوايا مختلفة»[1].

أكد مؤلف الكتاب على جعفرية العلويين، ولذا عندما تحدث عن الأُصول والفروع، وما يخص المعاملات والعبادات والتاريخ أيضاً، جعله مشتركاً بينهم وبين المذهب الجعفري، فهم يعتقدون بأُصول خمسة: التوحيد والنُّبوة والعدل والإمامة والمعاد، وبالفروع مثلما هي عند بقية المسلمين على المذهب الجعفري، والاعتقاد بالوصية الإلهية لعلي بن أبي طالب والأئمة الإثني عشر والعصمة فيهم. ولم يطرح مسألة الانفلاق عن الشِّيعة الإمامية الجعفرية في مسألة إدارة شؤون الطَّائفة أثناء غياب المهدي المنتظر (260 هـ)، فمثلما تقدم أن محمد بن نُصير أرادها للباب، أي لنفسه، بينما الآخرين وضعوها في السُّفراء الأربعة. ينتهي الإبراهيم إلى الحكم الآتي: «كل شيعي هو في الواقع علوي المعتقد، وكل علوي هو جعفري المذهب»[2].

يعترف الإبراهيم بما شاب العلويين مِن غلو ومِن ممارسات بعيدة عن الدِّين قائلاً: «نعم يمكن أن نذكر في هذا المقام تصور بعض الجماعة أو تقصيرهم في إقامة الشَّعائر الدِّينية، والسَّبب في

---

(1) المصدر نفسه، ص 6.

(2) المصدر نفسه، ص 16.

ما نُرجح أن هؤلاء قد حُرم عليهم لفترة من الزَّمن دخول المساجد والمدارس، فكانوا يعيشون في معزل تام عن العالم ... بما أصاب الكثيرين منهم من جهل وتصلب فكري، وتخلف ثقافي واجتماعي، حيث تدنى بعضهم إلى السَّذاجة والبساطة، حتى أخذ هؤلاء يغطون في مفاهيم خرافية تنخر في عقولهم السَّاذجة»[1]. لكن رواية ابن بطوطة، السَّابقة الذكّر، تؤكد أن أحد ملوك مصر والشَّام بنى لهم مساجد، وهم لا يدخلونها.

كانت الفتوى المشهورة بالحامدية، تلك التي طلبها السُّلطان سليم العثماني من رجال الدِّين فيهم، أدت إلى قتل الآلاف منهم بحلب[2]. لكن المؤلف قال إن عدد القتلى يربو على الخمسين ألف، وقيل التسعين، أظن أن أربعين ألف هو الفارق بين الرقمين يشكك بحقيقة الرقم نفسه.

استشهد المؤلف بآية التَّطهير[3]، والتي يستشهد بها لتأكيد عصمة الأئمة من الرِّجس والخطأ، وهي عند النُّصيريين مثلما هي عند الإثني عشرية «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»، بدلالة «إنما» للحصر[4]. لكن، الآية المذكورة

---

(1) المصدر نفسه، ص 12.

(2) المصدر نفسه، ص11.

(3) المصدر نفسه، ص 22. القزويني، الشِّيعة في عقائدهم وأحكامهم، ص 69.

(4) سورة الأحزاب، الآية: 33.

خصت زوجات الرَّسول، بما لا يقبل الشَّك، وهي كاملة «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا، وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا»[1]. نزلت الآية لغرض واضح لا يقبل التأويل، وهو حماية زوجات النَّبي من عيون وعواطف الآخرين.

يرى الشَّيخ الإبراهيم أن من الخطأ الفاحش، على حد عبارته، اعتبار محمد بن نُصير النّميري مؤسساً للمذهب العلوي، لأنهم يعتبرون مؤسسهم الإمام علي بن أبي طالب، وما ابن نصير إلا أحد الأعلام الشِّيعية[2]. بيد أن حقيقة الحال أن الذي جعلهم يتباينون مع المذهب الشِّيعي الإمامي الإثني عشري هو ابن نُصير لا علي بن أبي طالب، لأنه دعا إلى خلاف ما دعت إليه الإثنا عشرية في سد الفراغ الذي تركه موت الإمام الحسن العسكري، وغياب المهدي المنتظر، فهذا هو المقصود في أن يكون ابن نصير مؤسساً، وليس العلوية، ويدخل فيها الشِّيعة على العموم، بشكل عام، وإنه مثلما تقدم ذكره الخصيبي كباب للمهدي المنتظر، وأول مَن يلتقي به بعد ظهوره.

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 32– 34.

(2) الإبراهيم، العلويون والتشيع، ص 27.

يدفع المؤلف عن العلويين تسمية الجبل باسمهم، كي لا يتصل بابن نُصير المذكور، وإنما حسب احتماله أنهم عرفوا باسم الجبل، على أنه سمَّي مِن قبل الصليبيين بالنَّزارية، وإن تحريفها إلى النّصيرية ممكن، كان ذلك في القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري)، وذلك لوجود الطَّائفة الإسماعيلية النَّزارية في جبل (كام) الذي عُرف باسمهم. أما التسمية الصَّحيحة فهي الأصلية أي «العلويين»، وما أُطلق عليهم «النُّصيرية» إلا من باب الكراهية ضدهم، مثلما يسمى الشِّيعة بالرَّوافض والسُّنَّة بالنَّواصب[1].

لكن لو تركنا رواية ابن بطوطة بوجود النُّصيرية بدائر ساحل اللاذقية، منذ ذلك الحين، وهو العام 726 هـ[2]، وهي السنة التي نزل فيها الشَّام خلال رحلته، أي قبل العثمانيين واضطهادهم لهذه الطَّائفة بزمن طويل، فماذا نقول لرواية ياقوت الحموي (ت 626 هـ)، الذي سمع بهم أو شاهدهم بحِمص[3]؟! وزمنه سابق على ابن بطوطة بنحو مئتي عام. نقول لا بأس مِن تسميتهم بالنُّصيرية، فهي حقيقة قائمة، إن محاولة شطبها يعني لغاية، لا أظنها ستستقيم مِن دون كشف الحقائق. مثلما أشار السَّيد محمد حسين فضل الله في تقديمه لكتاب الإبراهيم، عندما نصح في عدم حجب الحقائق،

---

(1) المصدر نفسه، ص 29.

(2) ابن بطوطة، الرِّحلة، ص 79 – 80.

(3) الحموي، معجم البلدان2 ص 304.

وهذه واحدة مهم إذا لم تكن في مقدمتها.

جاءت فتوى الرُّوحانيين العلويين العام 1938 رداً على التقولات التي دارت حولهم، لما كُتب في مجلة «المرشد العربي» الصَّادرة باللاذقية، وتساءل: «هل العلويون مسلمون؟ مشككاً بإسلامهم. فنشروا رداً عبارة عن فتوى لعلماء المذهب «إن المسلمين العلويين بإجماعهم المطلق يستنكرونها أشد الاستنكار، ويبرأون منها ومن مثيريها... يعلنون في الدُّنيا والآخرة أنهم على شهادة لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله شهادة حق وصدق. فمَن جحدها فهو غريب عنهم كافر بهم، ومَن يتخذ من اتباع المسلمين العلويين مذهب الإمام جعفر الصَّادق (ع) سبباً لإبعادهم عن الدِّين الإسلامي الحنيف نعتبره بدعواه جاحداً للحق، ناكراً للصدق عاملاً بالباطل»[1].

مما قيل في سبب صدور هذا البيان، أو هذه الفتوى، أن قضية إرث أثارها رجل سُني ضد أخويه العلويين الموسورين، طالباً النَّفقة منهما، فوالده كان متزوجاً من امرأة سُنية فخرج ولدها على مذهبها، ومن زوجة علوية ظل ولداها على مذهبها ومذهب أبيهما العلوي، لكن لما حكمت المحكمة بالنَّفقة لأخيهما احتجوا باختلاف الدِّين، على أنهما علويان، وقد استطاع المحامي عنهما إقناع المحكمة بذلك فرفضت المحكمة بعذر اختلاف الديانة. إثر

---

(1) المصدر نفسه، ص 53-54.

ذلك التفت علماء العلويين للأمر، وبمحاولة معالجة البعد عن الفقه والدِّين[1]، الذي فرضته الظروف المذكورة سلفاً.

يرد المؤلف على فتاوى الشَّيخ ابن تيمية فيهم، وإنها إذا كان المراد منها فتاوى ضد الغلو والتَّهاون في الدِّين، فإن المذاهب جميعاً لا تخلو من متهاونين أو غلاة، فلماذا تحصر ضد العلويين[2]. ويأتي بنص فتوى مفتي القدس أمين الحسني (ت 1974)، الذي يقر بإسلامهم وكانت نشرتها صحيفة «الشَّعب» الدِّمشقية في (13 تموز 1936)[3]، وهي على ما يبدو لها صلة بالتحاق دولة العلويين ببقية سورية في تلك السَّنة.

ردَّ الإبراهيم في مجمل ما رد على مَن كتبوا، بغير وجهة حق، حسب رأيه، على الأب بطرس قزي، وهو المعروف بأبي موسى الحريري، صاحب عدة كتب إشكالية منها: «قس ونبي»، و«الإسلام نحلة نصرانية»، و«هل هو عربي» إلى غير ذلك. فسماه بالمستشرق الكاهن بطرس قزي، الذي أصر على مبدأ المغايرة بين النّصيرية والإسلام بالمطلق، حتى أنه ذكر أن النُّصريين يطلبون في أدعيتهم من ربهم إبادة الحكام المسلمين[4].

---

(1) الشَّكعة، إسلام بلا مذاهب، ص 361.

(2) الإبراهيم، العلويون والتَّشيع، ص 54.

(3) المصدر نفسه، ص 55 عن صحيفة الشَّعب الدمشقية 31 تموز 1936.

(4) المصدر نفسه، ص 56.

كذلك يرد بقوة على عبدالرَّحمن بدوي (ت 2002) في ما ورد عن النّصيرية في كتابه «مذاهب الإسلاميين» (الجزء الثّاني)، ويعتبره ابتعد عن الحقائق التّاريخية، وبنى أفكاره على الباحثين الانتهازيين.

يرى الإبراهيم أنه ليس مِن خلاف بين الجعفرية والعلويين إلا ببعض الاجتهادات الطفيفة، وكان سببها التأثر بالصُّوفية، مثل الطريقة الجنبلانية الخصيبية والتي صاحبها هو عبدالله الجنبلاني، ويعتقد العلويون أنه مِن رجال التصوف وعلم الباطن، ثم تولاها تلميذه الحسين بن حمدان الخصيبي[1].

ينفي الإبراهيم عنهم الاعتقاد بالتناسخ، وأن علماءهم يبطلونه مثلما تبطله الجعفرية شرعاً وعقلاً، وإذا كان في بعضهم فهو جاء إلى المسلمين مِن فلسفات أُخر[2]، وما إقرارهم بعلم الباطن إلا كالشِّيعة الآخرين الذين يقرون أن للأئمة علماً خاصاً لا ينزل إلى العوام[3].

لا أرى مِن فائدة للنفي، فليس كلُّ ما قيل فيهم هو محض أكاذيب، نعم هناك تلفيقات كثيرة ومبالغات، لكن هناك ما هو

---

(1) المصدر نفسه، ص 58.

(2) المصدر نفسه، ص 73.

(3) المصدر نفسه، ص 67.

صحيح أيضاً، شأن أي طريقة خاصة، ليس بالضرورة أن تهم الطَّائفة عامة، ومَن كتب عنهم لا يعني بالعموم، إنما يأخذ حالة واحد ويبني عليها، مثلما كتب العديد مِن الرحالين والمستشرقين ونقل عنهم الأكاديميون. فشاهدنا أن التناسخ كان عقيدة مألوفة عند جماعة منهم.

لقد لاحظها مَن هو غير متهم بضديتهم، أو النَّصب لهم، مثل الشَّيخ محمد رضا شمس الدِّين، المبعوث إليهم مِن قِبل مرجعية النَّجف العام 1956: «إن فكرة تناسخ الأرواح كانت تشتغل في الشَّباب العلوي هناك (سورية) ومِن هنا حاول دحضها ستة أدلة عقلية: منها لو صحت لكان الثَّواب والعقاب على الأرض، ولامتنع الحساب على العموم لتعلق عدة أجسام بروح واحدة، وللزم التحير في جواب سؤال مَن يقول: أين هي روح محمد وعلي؟ وفي أي جسم هي اليوم»[1].

ينشر الإبراهيم بيان علماء العلويين الذي أصدروه العام 1972، وأكد البيان على فتوى الشيخ العلوي سليمان أحمد (1922)، أي قبل خمسين عاماً مِن صدور البيان، ومما جاء فيه: «ليس لدى العلويين مذهب مستقل للعبادات والأحكام المبنية على معرفة الحلال والحرام والمعاملات كالمواريث وغيرها، وذلك اعتماداً

(1) الشِّيبي، الصِّلة بين التَّصوف والتَّشيع 1 ص 160 عن شمس الدِّين، العلويون في سورية، ص 46-57.

منهم على المذهب الإمامي الجعفري، الذي هو الأصل، وهم فرع منه»[1]. هذا صحيح، لكن يبقى الخلاف حول ابن نُصير، وهو شخصية محورية لدى العلويين، وشخصية سيئة لدى الإثني عشرية الجعفريين أو الإماميين، وهي مسألة يصعب تجاوزها، لأنها تتعلق بما بعد السُّفراء وما بعد ابن نُصير.

بعد هذا نأتي إلى كتاب «إسلام بلا مذاهب»، الصادر أول مرة العام 1960، وها هو يصدر بطبعته السابعة عشر، وكان محاولة في التقريب بين المذاهب والتخفيف من المختلفات المبعدات، لكن لا نأخذ الرَّجل بحلمه وعلى عنوان كتابه، لوجود الاستحالة بالتوحيد أو بتحقيق «إسلام بلا مذاهب»، إنما نأخذه على الأمل والدَّفع نحو التقليل من الكراهيات. قيل لي إنه كتبه بتأثير الحقبة النَّاصرية، والوحدة السورية، لكن ليس بين يدي ما يؤكد ذلك.

تناول الكتاب مختلف المذاهب فكانت النَّتيجة خلاف عنوان: «لا إسلام بلا مذاهب»، وكان هذا عنوان كتابنا في معارضة الباحث القدير الشَّكعة.

استهل الشَّكعة الفصل الخاص بالعلويين قائلاً، وفي قوله حقٌّ: «لعل من الخير أن نقرر من أدق الأمور وأصعبها على الباحث الأمين المتجرد أن يكتب في موضوع مثل المذهب العلوي أو الفرقة العلوية،

---

(1) الإبراهيم، العلويون والتَّشيع، ص89.

ذلك لأن المصادر التي تحت يده ليست من الكفاءة والكفاية»[1]. وبهذا الاستهلال يعذر عن تقصير أو ما تطلب من مراجعة من قِبل علويين أسعدت الباحث كثيراً في طبعات كتابه التي تلت الأُولى.

يقر الشَّكعة أن العلويين فرقة من الشِّيعة الإمامية، وكانت النَّشأة واحدة، «غير أنها اتخذت سبيلاً آخر بعد الإمام محمد الثَّاني عشر (القائم بالحجة/ الشكعة) وبيان ذلك أن لكلِّ إمام باب- حسب المذهب الإثني عشري»، ناقلاً ذلك عن الطَّويل في كتابه «تاريخ العلويين»[2].

لكن لم يظهر في العرف الإمامي أنهم يؤمنون بالأبواب، أو ربَّما أنهم حاولوا إبعاد هذا النِّظام بعد خلاف ابن نُصير على ملء الفراغ بغياب الإمام الثَّاني عشر، أي بين فكرتي السَّفير والباب. ولم يتوصل الشَّكعة، كغيره من الباحثين، إلى المسك بلحظة الفراق بين العلويين والجعفريين أو الإماميين، وهي التي أتينا عليها سابقاً في أكثر من مكان. ويستمر ينقل كثيراً عن الطَّويل في كتابه «تاريخ العلويين»، مع أنه ينقصه التَّوثيق، لكنه مثلما تقدم يُعد الكتاب الأول الذي يكتبه علوي في مذهبه.

ميز الشَّكعة بين فئتين فيهم، فئة الغلاة وهم الذين ينطبق

---

(1) الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص 331.

(2) المصدر نفسه، ص 332.

عليهم اسم النُّصيرية مثلما ورد عند صاحب «الملل والنِّحل» الشَّهرستاني، وأن علي بن أبي طالب لديهم ذو قداسة إلهية، وأن النَّبي مختص بالظَّاهر، وأن علياً كان مختصاً بالباطن، لكن هؤلاء عادوا بعقيدتهم إلى سلامتها، والذين ساروا في طريق التباعد وقعوا تحت تأثيرات دينية غير إسلامية، ويقصد المسيحية، فيؤمنون بالثَّالوث وهو عندهم: المعنى والاسم والباب، والمعنى هو الغيب المطلق وهو الله (ع)، والاسم صورة المعنى الظاهر(م)، والباب هو طريق الوصول للمعنى (س)، والثالوث يتجسد في: علي ومحمد وسلمان الفارسي، وترى الشكعة يعتمد على كتاب «الباكورة السُّليمانية» الذي سبق ذكره وعنه أخذ أكثر الذين كتبوا في شأن العلويين[1]. بطبيعة الحال كلّ ما سبق هو مِن وحي الطريقة الحروفية في التّصوف.

فشيوخ العلويين اعتبروا مثل هذه الأقوال وغيرها نفحات من الصوفية، لا تمثل المذهب في حالٍ مِن الأحوال، ونقل كثيراً عن أحد أعلامهم وهو الشيخ والأمير بينهم حسن المكزون السنجاري(ت 638 هـ)، ولا نعتقد أن الشعر يعكس أمور الفقه والعقيدة من دون غلو أو زيادة ونقصان. وخلاف ذلك للسنجاري ما يُمجد الخلفاء الرَّاشدين الثلاثة، مثل قوله:

---

(1) المصدر نفسه، ص 342.

بعقيدة بكـــــرية عُمـــــريةٍ

مالي إذا غَيري انثنى عنها انثنا

وبنور هديها هُديت إلى الهُدى

فعليهما منِّى التحيةُ والسَّنـــــا

إني بدينهما وإن رغم العـــدا

أمسيتُ مِن دون الورى مُتَدينـــا

وبسنُـــــة لله عُمـــــانيةٌ

فازَ امرؤٌ أَمسى بها مُتسننـا[1]

استفاد الشَّكعة مِن تصويبات أحد طلابه العلويين في جامعة بيروت العربية، عندما صدر كتابه في طبعته الأولى (1960)، وكان قرأ الكتاب ولم يرغب بالإعلان عن نفسه، فكتب رسالة وأرسلها عبر البريد، وبتوقيع: طالب مسلم علوي، وقد نشرها الشكعة كاملةً في طبعات الكتاب اللاحقة. وملخص ما جاء في الرِّسالة: بأنهم شيعة، وتعرضوا إلى اضطهادات عبر التَّاريخ فرضت عليهم الانطواء

(1) المصدر نفسه، ص 368 عن ديوان المكزون، مخطوطة المكتبة الظاهرية، رقم 8758 عام، الورقة 89.

والانكماش. مبيناً الأخطاء التي وقع فيها أستاذه في الحديث عن عقيدتهم والعبادة، طالباً منه أن يعاشرهم قبل الكتابة عنهم، وإنهم لا يلعنون الصَّحابة، ربَّما فئة نادرة جداً، لا تمثل المذهب، وهم من الجهلاء، وعقيدتهم كعقيدة أي مسلم، وأن هناك بعض الأشياء ستزول مع العصر. ولديهم جوامع عديدة، ويصلون صلاة الجمعة، يوجد جامع بحمص وآخر باللاذقية وغيرها، ويحجون بعدد ضخم سنوياً إلى مكة، ولم يعتبروا الحج كفراً في يوم من الأيام.

أما أعيادهم فهي كباقي المسلمين: الأضحى والفطر، ويحتفلون بالغدير، وأعياد أخر ليست أكثر من أعمال الخير والصَّدقة. وأن هناك عادات سخيفة حاربها رجال الدِّين لكن بعض العوام ما زالوا يتمسكون به[1].

حسب الشكعة أنهم يعترفون بتعدد الزَّوجات، لكنهم لا يقرون بزواج المتعة مثلما هو الحال عند الإمامية[2]. غير أن الشَّيخ العلوي عبدالرَّحمن الخيِّر، مثلما تقدم[3] قد أقر بنكاح أو زواج المتعة، فالإمامية أو الإثني عشرية، يعتبرونها من مباحات الإسلام، ضمن شروطها بطبيعة الحال، «لأنها من حلال محمد إلى يوم

---

(1) المصدر نفسه، ص 364 - 366.

(2) المصدر نفسه، ص 379.

(3) ورد ذلك في عقيدتنا وواقعنا، ص 27.

القيامة»[1]. وسبق أن ذكرنا ما أورده الخصيبي في شأنها، وبما تختلف به عما يعتقده الجعفريون الاثنا عشريون.

لكن مع كلِّ التَّطابق بين الجعفرية والعلوية النُّصيرية، هناك إقرار ببعض الاختلاف والتَّباين، إضافة إلى الاختلاف في طريقة ملء فراغ الإمامة بعد غيبة المهدي المنتظر، نفهم هذا من رد أحد شيوخهم على سؤال وصله من شيعي عراقي مفاده إذا كان العلويون جعفرية فلماذا لا يندمج المذهبان؟!

جاء الجواب: «العلويون والشِّيعة على مذهب واحد، وهو مذهب أهل البيت عليهم السَّلام. الاندماج الذي نتمناه جميعاً لا يجب أن يؤدي إلى إلغاء الهوية، فلا أظن أن أحداً يقبل بذلك، لكلِّ طائفة من الطَّائفتين تاريخها وأعيادها وقواعدها الأصولية الفقهية». ونجدهم يتوقفون عند اتهامات علماء الجعفرية لصاحبهم أبي شُعيب محمد بن نصير النّميري (ت 270 هـ)، ومَن تبعه[2].

---

(1) القزويني، الشِّيعة في عقائدهم وأحكامهم، ص 211.

(2) موقع المكتبة الإسلامية العلوية، سؤال وجواب، من أقوال العلماء. على الرابط:
http://alawiyoun.net/node/2375.

الفصل الرَّابع

دولة العلويين
1936 - 1920

الظُّهوروالضُّمور

يذكر شاهد عيان ومشارك في الحدث، وهو محمد أمين الطَّويل (ت 1932) في «تاريخ العلويين» قصة النِّزاع بين العلويين والأرمن بأطنة، إبان الحرب العالمية الأولى، ووقوف الفرنسيين إلى جانب العلويين ضد إقامة دولة الأرمن أو المسيحيين في تلك الفترة[1]، وبعد أن سيطر الفرنسيون على سورية العام 1920، وكانوا قد جندوا شباب العلويين في جيوشهم، عمدوا إلى إقامة دولة علوية (أيلول 1920)، وسميت بدولة «جبال العلويين».

كانت المرة الأولى التي يتداول علانية فيها اسم العلويين أو العلوية، لكن هذه الدَّولة لم تستمر إلا ستة عشر عاماً، فقد ظهرت حركة علوية في الدَّولة الفتية ضد التبشير المسيحي، وضد إهمال تدريب الشَّباب العلوي واستخدامهم في دوائر الدَّولة، التي ظل يديرها الأجانب.

جاء في الاحتجاج الذي قُدم إلى وزارة الخارجية الفرنسية

---

(1) الطَّويل، تاريخ العلويين، ص 491.

في تموز (يوليو) 1936، على حصر الوظائف بيد الغرباء وعلى التبشير معاً، وما فيه مِن وعي ديني: «إننا نعتبر أنفسنا مسلمين قبل أن نكون علويين... إن العلويين شيعة مسلمون برهنوا طوال تاريخهم عن الامتناع عن قبول كلِّ دعوة مِن شأنها تحوير عقيدتهم، فهم يحتفظون بالعقيدة الشِّيعية، ولكي يكون العلوي علوياً يجب أن يكون مسلماً، فالدِّين الإسلامي شرط التزامي للانتساب للعلويين، والتشيع لعلي بن أبي طالب كرم الله وجه... للعلويين مِن الوظائف ما يعادل 4٪ من مجوع وظائف الدَّولة... وإذا احتجت الحكومة المنتدبة علينا بعدم الكفاءة فالجواب يكون على وجهين: إما أن يكون شبابنا أكفاء مثقفين، ولا يعترف لهم بهذه الثَّقافة، وإما إنها لم تقم لهم بالتعهدات»[1].

كانت هذه الشَّكاوى إيذاناً بالعودة إلى سورية «الحلَّ الوحيد لهذه الحالة السيئة هو الرُّجوع لأحضان الحكومة السُّورية»[2]. ففي تلك الأثناء ظهر لدى العلويين حزب «الوحدة»، ومِن عنوانه أنه يدعو إلى الوحدة السُّورية وإنهاء أمر دولة العلويين باللاذقية وأجزاء أُخر مِن بلاد الشَّام، أو ما يسمى بجبال العلويين. تصدّر هذا الحزب الشَّيخ العلوي علي شهاب، و«كان يتنقل مِن قرية إلى

---

(1) هاشم عثمان، تاريخ العلويين وقائع وأحداث، ص 61 عن نص مذكرة رفعها الشَّباب العلوي إلى وزارة الخارجية الفرنسية.

(2) المصدر نفسه، ص 62.

قرية حاملاً المضابط التي تُطالب بالوحدة السُّورية»[1].

انضم إلى هذا الحزب مشايخ آخرون من الطَّائفة العلوية، بينهم أحمد ديب الخيِّر نائب لواء اللاذقية. أبرق هؤلاء المشايخ إلى السُّلطات السُّورية ما نصه: «بصفتنا نمثل السُّلطة الدِّينية بين الشَّعب العلوي، وبما أن صفتنا هذه تلزمنا بالدفاع عن حقوق الشَّعب، وبما أن الاستمرار في الوضع الحاضر لا يُعطي حياة لهذه الحقوق سواء أكانت سياسية أم اجتماعية أم اقتصادية أم إدارية أم دينية لذلك نطلب تحقيق الوحدة السُّورية على أساس مركزية إدارية»[2].

أخذت الدَّعوة إلى الوحدة السُّورية بالتَّصاعد، فتشكل وفد من رجال الدِّين والطُّلاب وزعماء حزب «الوحدة» والعشائر لمواجهة المفوض السَّامي الفرنسي (مارس 1936)، فوصل تأييد الكتلة الوطنية من دمشق لمساعي العلويين لقيام الوحدة: «أيها العلوي النَّبيل، إن حقك عند أمتك السُّورية من الحياة على قدم المساواة، والتآخي والتَّضامن والتكاتف في الحقوق والواجبات مقدس»[3]. من جانب آخر تأسست رابطة «الشَّباب المسلم العلوي» باللاذقية مدافعة عن الوحدة السُّورية. على أية حال، وبعد مفاوضات مع

---

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه، ص 64.

(3) المصدر نفسه، ص 66.

الجانب الفرنسي التحقت دولة العلويين ببقية سورية.

الجدير بالإشارة إلى أن وجهاء من اللاذقية أخذوا يبحثون عن اتصال ببيروت، لتشكيل دولة تمتد من مناطقهم وتغطي لبنان، جاء ذلك في الوثيقة التي يعود تاريخها إلى آب (أغسطس) 1936. وفي التحضير لذلك خاطب رئيس المجلس التمثيلي لحكومة اللاذقية الرئيس اللبناني قائلاً: «إن وفداً من ممثلي العناصر العلوية والمسيحية والإسماعيلية بأكثريتها الساحقة في حكومة اللاذقية تشرّف مؤخراً بالمثول أمام فخامتكم، وعرض عليها تمسك هذه المنطقة باستقلالها التام تحت حماية فرنسا ومعاضدتها، وعدم رضاها بوجه من الوجوه بإلحاقها بسورية، وإذا كان الاستقلال المنشود لا يمكن الحصول عليه لاعتبارات دولية، فمشروع اتحاد هذه الحكومة مع الجمهورية اللبنانية على شروط يصير تحديدها»[1].

أورد في هذه الرِّسالة طالبو الالتحاق بلبنان وتشكيل دولة جديدة، حسب الروابط الإدارية في العهد العثماني، حججاً لدعم ما يدعون إليه، ومن أبرزها[2]:

---

(1) نص الوثيقة منشور على موقع الميدل ايست أون لاين في 21 أيار (مايو) 2011 عن الوثيقة المحفوظة في صندوق رقم 414 في الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي في NANTES تحت بند سورية - لبنان. على الرابط:
http://www.middle-east-online.com/?id=110869

(2) المصدر نفسه، عن نص الوثيقة المذكورة.

1- المناطق التي كانت في العهد العثماني تشكل حكومة اللاذقية الحاضرة هي سنجق(محافظة) اللاذقية، وقسم من سنجق طرابلس وكلاهما كانا تابعين لولاية بيروت، وكانت إذ ذاك مدينة بيروت مرجعها السياسي والإداري الوحيد.

2- بلاد العلويين بمركزها الجغرافي تتمة طبيعية للبنان، وهذه الوحدة الجغرافية أوجدت بينهما وحدة في الأخلاق والعادات والتقاليد إلى أعظم حد.

3- تكاد تكون مدينة طرابلس السُّوق التجاري الوحيد، والتشريع النافذ في حكومة اللاذقية يتقارب بصورة عامة مع التشريع اللبناني. وحتى الآن ما يزال تمييز الدعاوى الصادرة من محاكمنا يُرفع إلى محكمة التمييز اللبنانية.

4- يصبح عدد سكان لبنان بارتباطه مع حكومة اللاذقية مليوناً و300 ألف نسمة، فهذا العدد من السكان يساعد على جعله مساوياً تقريباً لسورية التي يبلغ عدد سكانها بحدودها الحاضرة مليون و700 ألف نسمة، منها 350 ألف على الأقل تنتمي للأقليات من مسيحيين وعلويين وإسماعيليين. وبالنظر لكون لبنان سيصبح أوسع وطن للأقليات الموجودة في الشرق بأسره، فلا تلبث تلك الأقليات أن تتوارد إليه من كل جانب، إذ تجد فيه المساواة الكاملة في الحقوق مع سكانه، فلا يمضي زمن طويل حتى يصبح عدد هؤلاء السكان مساويا لعدد سكان سورية.

5- إذا ضُمت بلاد العلويين إلى سورية يصبح لبنان محصوراً من كل جهات البر ويصبح سكانه تحت رحمة السُّوريين الذين يقاطعونه عندما يشاءون كما قاطعوا فلسطين حاليا ولا يتورعون عند أول فرصة سانحة عن التجاوز عليه. ولكن بارتباط حكومة اللاذقية به ترتفع هذه المحاذير، إذ تكون أراضي هذه الحكومة حاجزا مانعا دونه يمتد من حدود أنطاكية إلى حدود طرابلس.

6- بما أن لبنان رغم استقلاله سيكون دائماً تحت حماية فرنسا، فإن ما تجنيه فرنسا من المنافع من ارتباط حكومة اللاذقية به أشهر من أن تذكَر، إذ تصبح عموم الشَّواطئ الممتدة من إسكندرونة (تركيا) إلى صور تحت حمايتها تتصرف بها لمنفعتها العسكرية والبحرية والجوية والاقتصادية كما تشاء.

لكن لم يتم هذا الأمر، فيبدو ليست هناك إرادة دولية ولا محلية لتحقيقه، إلى جانب أن الحكومة السُّورية أخذت تعالج ما أمر الإدارة باللاذقية، وأُخذ العلويون يُعاملون من النَّاحية الاجتماعية والدِّينية ما يطمئنهم ويدعم وجودهم داخل سورية. ولا أرى هناك ربط بين وجود الجيش السوري بلبنان، أو تطلعات القيادة السُّورية إلى الهيمنة على لبنان، بأنه جزء من تحقيق مآرب علوية قديمة، فالدُّنيا قد تبدلت. أقول هذا لأن هناك مَن يأخذ الأوضاع الحالية بسورية بمنظار ذلك الزَّمان، مثلما تقدم الحديث.

في نهاية 1936 وبداية 1937 حسم الأمر لصالح الداعين

مِن العلويين للانضمام إلى سورية، لكن إساءة الحكومة الجديدة المحلية باللاذقية للعلويين، جعل العديد منهم يطالب بتوسيع اللامركزية وصلاحيات المجلس الإداري لتقييد سلطة المحافظ باللاذقية.

استمر الانتماء النُّصيري أو العلوي إلى سورية، وخرجت هذه الطائفة من عزلتها الجماعية التي دامت لقرون مِن الزَّمن دعاة للوحدة السُّورية، واعترف لها بالمواطنة السورية. فدخل شبابها إلى الوظائف الكبرى والقيادة العسكرية ليصل منهم حافظ الأسد رئيساً للدولة وأميناً عاماً لحزب البعث العربي الاشتراكي. ويدور الزَّمن فيكونوا الحاكمين للبلاد. ليس بمفهوم الطَّائفة إنما بمفهوم عصبة الطَّائفة، فبطبيعة الحال ليس العلويون كافة هم يمثلون قوة السُّلطة بدمشق، لكن نراها محسوبة عليهم، وفي زمن الطائفية صارت سورية بين علويين وسُنيين، وهذا هو الظاهر الذي يعكسه ويستغله عادة الفعل السياسي.

بينما بعد توحيد سورية وانضمام دولة العلويين إليها، العام 1936، أخذ يُقدم المذهب العلوي باسم المذهب الجعفري كمذهب خامس، حسب رغبة وجهاء العلويين، فصدر كتاب تحت عنوان: «إنما المؤمنون إخوة... تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله[1]. في العام (1952) أصدر مفتي الجمهورية السُّورية الشَّيخ

(1) اللاذقية، مطبعة الإرشاد 1938.

محمد شكري الأسطواني قراراً يقضي بتشكيل لجنة لتعيين كفاءة المتزينين (هكذا وردت) بالكسوة الدِّينية على المذهب الجعفري مِن الرَّاغبين في ارتدائها ومِن الرَّاغبين بالاحتفاظ بها[1]، ثم صدر كتيب «مناسك الحج على المذاهب الخمسة» أصدرته وزارة الأوقاف السُّورية.

بمعنى أن سورية قد حلت موضوع ازدواجية المذاهب، وقررت قبل أن يأتيَ الضَّابط حافظ الأسد كعلوي إلى السلطة بسنوات عديدة، أن تحسب العلويين كمذهب خامس إضافة إلى المذاهب الأربعة، كي لا تتمحور الطَّائفة حول مرجعياتها الدِّينية، ويكون هناك نوع مِن الازدواجية مع الدَّولة، أو تمييز عن المجتمع، فما زالت المذاهب الأربعة منسوبة إلى أسماء الفقهاء وأن الشِّيعة يعتبرون أنفسهم جعفرية فما الضَّير في تشخيص هذه الطَّائفة بالجعفرية نسبة إلى الإمام جعفر الصَّادق.

محاولة تسمية المذهب الخامس

هذا ما أراد فعله نادر شاه (اغتيل 1747)، عندما حاول فك سطوة المذهب الشِّيعي الإمامي على الدَّولة، مثلما تأسس ذلك من العهد الصَّفوي، فتقدم بفكرة الحوار بين الشِّيعة والسُّنَّة، وأن يصار إلى تسمية المذهب الشِّيعي بالجعفري كمذهب خامس،

---

(1) صورة طبق الأصل ملحقة في كتاب عقيدتنا وواقعنا، ص 92.

وبذلك أراد إزاحة التركة الصَّفوية، لكنه اغتيل قبل تحقيق ذلك. كذلك يلاحظ من الزَّي الديني لشيوخ العلويين بسورية، على وجه الخصوص، إنه أقرب إلى زي شيوخ أهل السُّنَّة بالشَّام، من ناحية شكل وطراز العمامة، مثلما تقدم.

قال نادر شاه لأحد أبرز وجوه الحوار عالم بغداد عبدالله السُّويدي (ت 1760) مفتتحاً مبادرته: «في مملكتي فرقتان: الأفغان وتركستان من جهة، والإيرانيون من جهة أخرى، أحدهما تُكفر الأخرى، مع أنَ التَّكفير شيء قبيح، فأردتُ أن أزيل ذلك»[1]. ومصدرنا «دوحة الوزراء» الذي كُتب بأمر وزير العراق داود باشا (1817-1831)، وصدر عن «دار السَّلام» ببغداد (1830)، وترجمه عن التركية أحد خيرة المثقفين العراقيين موسى كاظم نورس(ت 1982). نقل الكركوكلي(ت 1824) عن الشَّيخ السُّويدي في «النَّفحة المسكية في الرِّحلة المكية» و«الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية»، وكان هو المكلف بالإشراف على مؤتمر الحوار.

لكن مَن يكره الحوار، على شاكلة السَّلفي السُّوري محب الدِّين الخطيب (ت 1969) يُقدم مذكرات السُّويدي بعبارة تلوح بالمغالبة لا المحاورة، والسُّويدي لم يقلها في مذكراته، وهي: «الذي انتهى بخضوع مجتهدي الشِّيعة»[2] (مؤتمر النَّجف)، فجعل الخطيب الاتفاق خضوعاً، و«الشِّيعة» «روافض». وقَدم «مؤتمر

---

(1) الكركوكلي، دوحةالوزراء،ص 54.

(2) الخطيب، مؤتمر النَّجف، ص 1 صفحة الغلاف الداخلي.

النَّجف» بسبعة وستين صفحةً تكفر وتنبذ الطَّرف الآخر.

كان نادر شاه قائداً صارماً، من الأفشاريين الخراسانيين، الذي انتقل إليه مُلك الصَّفويين، بعد أن ذاع صيته وكثرت انتصاراته، وقد عانت منه مدن عراقية أشد المعاناة، بل لقسوته عندما شك بولده سمل عينيه[1].

لقد ورث نادر شاه تركة ثقيلة من العداء السُّني، المتمثل بالعثمانية، والشِّيعي المتمثل بالصَّفوية، فما أسسه الصَّفويون (1501-1722) روج لعنف مذهبي بإعلان سب الخلفاء الرَّاشدين رسمياً[2]، مع علمنا أن السَّب بدأ لغرض سياسي في العهد الأموي ضد خليفة راشدي أيضاً، حتى أبطله الخليفة عمر بن عبدالعزيز (ت 101هـ)[3].

كان معاوية بن أبي سفيان قد شرع في السَّب في حياة علي بن أبي طالب، ذلك أن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت 50 هـ) قد اشترط على معاوية «أن لا يُشتم عليّ فلم يجبه إلى الكف عن شتم علي، فطلب أن لا يُشتم وهو يسمع فأجابه إلى ذلك، ثم لم يفِ له به»[4].

---

(1) مكاريوس، تاريخ إيران، ص 207.

(2) النِّكابني، قُصص العُلماء، ص 371.

(3) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السُّلطانية، ص 129.

(4) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ 3 ص 404.

لكن الشَّام التي بدأت السَّب رسمياً لعلي بن أبي طالب والعلويين، تعود ثانية، على ذمة ياقوت الحموي (ت 626 هـ) وتصبح علوية متشددة مثلما كانت أموية متشددة، ويُسب فيها الصَّحابة. قال الحموي وهو يتحدث عن مدينة حمص: «ومن عجيب ما تأملته من أمر حمص فساد هوائها وتربتها، اللذين يفسدان العقل، حتى يُضرب بحماقتهم المثل، إن أشدَّ النَّاس على علي، رضي الله عنه، بصفين مع معاوية كان أهل حمص وأكثرهم تحريضاً عليه وجداً في حربه، فلما انقضت الحروب ومضى ذلك الزَّمان صاروا من غلاة الشِّيعة حتى إن أهلها كثيراً ممَن رأى مذهب النُّصيرية وأصلهم الإمامية، الذين يسبون السَّلف»[1]. من غير قضية السَّب إن صاحب الرواية شهد بوجود طائفة اسمها النُّصيرية من ذلك الزَّمان بالشَّام.

بعد حين تبنّى الصَّفويون السَّب رسمياً أيضاً للغرض نفسه، ليأتي نادر شاه ويزيله. فقد أمر الشَّاه (إسماعيل) بأن يعلن السَّب في الشَّوارع والأسواق، وعلى المنابر منذراً المعاندين بقطع الرِّقاب[2]. يُذكر أن فقيه الدَّولة الصَّفوية والمتحدر من لبنان المحقق الأول عبدالعال الكركي (ت 940 هـ) هو الذي أفتى بالسَّب واللّعن: «إن الشيخ عندما أتى إلى أصفهان ذهب في اليوم التَّالي إلى المسجد وأقام صلاة الجماعة، وبعد الصَّلاة صعد أحد تلامذته على المنبر وجاهر في سب المتخلفين ... لما لم يكن هناك سب في إيران أبداً

---

(1) الحموي، معجم البلدان2 ص 304.

(2) الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ا ص 58.

فقد يكون المحقق الثَّاني رأى مصلحة في إشاعة ذلك وترويجه حتى يظهر للناس بطلانهم»[1]. ومما تذكره المصادر الشيعية في أمر سلبية الشَّتم على الشِّيعة خارج إيران: «إن علماء الشِّيعة الَّذين كانوا في مكة كتبوا إلى علماء أصفهان، أي أهل المنابر والمحاريب، أنكم تسبون المخالفين في أصفهان ونحن نُعاني مِن ذلك العذاب في الحرمين الشَّريفين مِن العامة»[2].

هذا وإن للسب تاريخاً طويلاً، فالخليفة العباسي عبدالله المأمون (ت 218 هـ) شرع بسب معاوية بن أبي سفيان (ت 60 هـ) على المنابر، وعمم قراراً[3]، وبعد ستة وستين عاماً أخرجه المعتضد بالله (ت 289 هـ) ليعلنه، فأخرج كتاب المأمون في لعن الأمويين، الذي لم يُنفذ، فشاء تنفيذه على أن يُعلن عند صلاة الجمعة، لكن عقلاء العصر مِن القضاة حالوا دونه، وتقرر منع الجدل والمنظرة، وبراءة الذِّمة ممَن يترحم على معاوية بن أبي سفيان والأمويين[4]. بينما كان شيخ المعتزلة ثمامة بن أشرس (ت نحو 215 هـ)، وفرقته تعنى بالعقل، المحرض الأول على السَّب. لكن ما نقرأه في كتاب «الهداية الكبرى»، وهو المحسوب على النُّصيريين العلويين بما هو أفظع مِن السَّب[5]!

---

(1) التُّنكابني، قُصص العُلماء، ص 371.

(2) المصدر نفسه.

(3) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص 54.

(4) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك 8 ص 629 وما بعدها.

(5) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص 54.

بعد أن زار نادر شاه النَّجف وأمر بكسوة القبة العلوية ذهباً (1740)، توصل إلى فكرة عقد مؤتمر بين المذاهب، وبالتفاهم مع الدَّولة العثمانية، وكانت المعضلة التي يواجهها، ويندفع العوام إليها بسهولة، هي السَّب من جانب التركة الصَّفوية، والتكفير بطلب من السلاطين العثمانيين لمواجهة الإيرانيين، حتى إنه شاع بين العراقيين: «بين العجم والرُّوم بلوة بتلينا» (ذُكر في العراق بين احتلالين)، فالعراق الذي كان ساحة للمتحاربين صار ساحة للمتحاورين أيضاً.

حضر علماء الفريقين بوجود نادر شاه، وجرى الحوار. احتج علماء الشِّيعة برأي الإمام أبي حنيفة النُّعمان (ت 150 هـ) في «الفقه الأكبر» وبكتاب «جامع الأصول» ففيهما عدم تكفير أهل القبلة (دوحة الوزراء). وطرح علماء السُّنَّة «السَّب»، فأقرّ علماء الشِّيعة بنبذه، فصرح المحاور السُّنّي في الشِّيعة: «إنهم مسلمون لهم ما لنا وعليهم ما علينا». فصار الصِّلح، «وقام الجميع وتصافحوا، وكلٌّ واحد يقول لصاحبه أهلاً يا أخي»[1].

فحرر الشَّاه أمراً: «إننا قررنا وجوب رفع السَّب، وعدم تفضيل الصَّحابة بعضهم على بعض ... وكلُّ مَن يُخالف ما ورد في هذه الوثيقة ويُعيد السَّب ... يستحق غضب الشَّاه». ومثلما تقدم بدأ السَّب بأمر حكومي في العهد الأموي والعهد الصَّفوي، ووقف في العهدين بأمر حكومي أيضاً.

---

(1) الكركوكلي، دوحة الوزراء، ص 57.

بعدها حصل حفل بهيج، وقُدمت المبخرة، التي بُخر بها المجتمعون برائحة العنبر، وقفاً للضريح العلوي بالنَّجف.

ثم ذهب الطَّرفان، يوم الجمعة، بمعية نادر شاه للصَّلاة بالكوفة، وفضل الشَّاه أن تذكر في الخطبة فضائل الصَّحابة وعلي والحسن والحسين، والدُّعاء للسلطان العثماني قبله، وصلى النَّاس بين مرسل اليدين، حسب هيئة الصَّلاة لدى الشِّيعة وضامهما حسب الحنفي والشَّافعي، وكان عدد المصلين نحو خمسة آلاف مصلي.

رمى نادر شاه إلى الاعتراف بالمذاهب خمسةً، فأطلق تسمية المذهب الجعفري على الإمامية[1]، نسبة إلى الإمام جعفر الصَّادق (ت 148 هـ)، وكأنه أول مَن أطلقها، وربما يُحتج بقول الحميري (ت 179 هـ): «تجعفرت باسم الله فيمَن تجعفرا، وتجعفرت باسم الله فيمن تجعفرا»[2]. قيل إنها ليست للشَّاعر إنما لغلامه، الذي يُقال له قاسم الخياط، قالها ونحلها للسَّيد[3]، ويغلب على الظن أنها لا تعني المذهب الفقهي، فالعقائد المذهبية آنذك لم تكن تبلورت فقهياً بعد. كان المسجد واحداً والأذان واحداً.

علويو تركيا

---

(1) الأنصاري، الفقهاء حُكام على الملوك، ص 63.

(2) الأصفهاني، كتاب الأغاني 7 ص 178 .

(3) المصدر نفسه.

يعيش عدد غير قليل من العلويين بتركيا، يزيد على خمسة عشر مليوناً، بين أربعة وسبعين مليوناً، عدد سكان الدَّولة التُّركية، الغالبية من المسلمين السُّنَّة الأحناف، والمذهب الحنفي هو المذهب الرَّسمي هناك، مثلما كان الحال في الدَّولة العثمانية. لا يحبذ العلويون بتركيا إطلاق اسم شيعة على أنفسهم، إنما جعفرية، فاسم الشِّيعة في غمرة النِّزاع بين الطَّويل بين العثمانيين والصَّفويين صار كلُّ شيعي إيراني، على أساس أنه مذهب خاص بالإيرانيين.

واشتد هذا الحذر بعد الثَّورة الإسلامية بإيران (1979). لكن بعد الصِّدامات التي حصلت في التِّسعينيات وقبلها في السَّبعينيات من القرن الماضي أخذ العلويّون يبحثون عن أصولهم، وعقائدهم، لحاجتهم إليها في الدِّفاع عن أنفسهم، فظلوا لفترة طويلة جاهلين بأصولهم، لا مدارس دينية ولا مشيخات لديهم.

وهم ينتمون لعدة قوميات: أتراك، وكُرد، وعرب، والغالبية منهم من الأتراك، ولهم حضور قوي في الأحزاب اليسارية، كونها لا تميز على أساس الدِّين والمذهب، والأجواء العلمانية توافق الأقليات الدِّينية عادة، ونسبة قليلة منهم منتظمة في حزب العمال الكردستاني، الذي تعده الدَّولة التركية منظمة إرهابية، وهي في حرب مستمرة معه[1].

إن الخارطة التُّركية الدِّينية مقسمة، من ناحية المذاهب الأساسية ذات الكثرة السُّكانية إلى سُنَّة وعلويين، والعلويين مثلما

---

(1) ملف العلويين: الماضي والحاضر، مجلة النُّور الإسلامية، العدد 50 تموز 1995 ص 13-14.

سبق ذكره أنهم ينتمون إلى عدة قوميات: أتراك وكُرد وعرب، ويسمي الأتراك العلويين العرب بالنّصيرية، وعددهم نحو 250 ألف نسمة، ونسبة الكرد من بين العلويين تصل إلى 30٪. ويسمى العلويون الأتراك بالقزلباشية التركمان، أي أصحاب الرُّؤوس الحمر، ويتراوح عددهم بين (13-14 مليوناً)، وإذا كان بسورية يشار للعلوي بالمسلم علوي، فإن الاسم لا أثر له في السِّجلات التُّركية، وهم لا يتحدثون عن أنفسهم، يتعاملون بالشّعار: «اخف ما رأيت ولا تقل ما لا تراه».

ينتمي العلويون الأتراك إلى الطَّريقة الصوفية البكداشية، وهي البكتاشية نفسها، أسسها في القرن الثالث عشر الميلادي المتصوف والشَّاعر حاجي بكداش (ت 1271 ميلادية)، فوجدت دعوته تجاوباً بين التركمان العلويين. لهذا يظهر العلويون الأتراك ليسوا مذهباً قائماً بذاته بقدر ما هم تيار صوفي متمثلاً في البكداشية، يؤدون عبادتهم أو طقوسهم في بيوت الجمع، ويشاع أنهم لم يألوا المساجد إلا حديثاً.

أما على المستوى الاجتماعي فهم يساوون بين المرأة والرجل. هذا شأن الطائفة الحقية أو الحقة، التي زرنا قراها وسمعنا مثل هذا التقليد منهم، وهم بالأصل جماعة صوفية نقشبندية، لكنها تميزت عن بقية النَّقشبندية، وقد أفردنا لها فصل خاص في كتابنا «الأديان والمذاهب بالعراق»، في طبعته الثَّالثة[1].

---

(1) بيروت – دبي، دار مدارك (تحت الطبع).

لا شك أن الطَّريقة البكتاشية تعتبر شيعية إلى حد بعيد، فلها وجود بكربلاء، حيث تؤدي طقوسها في تكية تُعرف بتكية آل الدَّده، ويشرف عليها حسن الدَّده (ت 1948)، ووجودها بكربلاء يعود إلى أول العهد العثماني، ومنهم الشَّاعر المعروف فضولي، كذلك وجدت بالنَّجف سابقاً تكية لهذه الطَّريقة الصُّوفية، وببغداد تكية مماثلة لا وجود لها بعد غرقها بفيضان دجلة. وهي بالأساس طريقة زهد وتقوى، وتأثرت بعد ذلك بالطَّريقة الحروفية[1] التي يغلب عليها التَّشيع، وشاع عنهم أنهم لا يلتزمون بالفروض الدِّينية ورسومها، ولهم رأي في شرب الخمر، ويتظاهرون أنهم اثنا عشرية، وهم بعيدون عنهم، هذا ملخص ما جاء به المؤرخ عباس العزاوي[2]. هنا يفهم التداخل بين النُّصيريين والصُّوفية.

---

(1) طريقة صوفية شيعية، أسسها عبدالرَّحمن الخميسي الاسرآبادي (قُتل 1401 ميلادية)، جاور بالنَّجف لفترة طويلة، وكان متأثراً بالصوفية الاتحادية، أي المؤمنين بوحدة الوجود، له قابلية على تعبير الرؤيا وتأويل المنامات، وإنه كان في منامه يرى النبي ويباحثه في النُّجوم، أعلن مهديته بين جماعته وأخذ البيعة منهم، وكان يلبس الكفن، على أنه خليفة الله شأنه شأن الأنبياء، فاعتبر الآخرون دعوته زندقة وإلحاداً، وأجريت له محاكمات، وأخيراً قُتل بيد ميران شاه، وربطت رجليه وسُحل في الشَّوارع والأسواق، وأحرقت جثته، وإن عند الحروفية الرقم أربعة عشر رقماً مقدساً، يُشير إلى المعصومين الأربعة عشر: النبي وفاطمة والأئمة من علي بن أبي طالب وحتى المهدي المنتظر، وبعد قتله عده أتباعه إلهاً.

أما اسمها الحروفية فلصلتها بحساب الحروف وتطبيق عدد الحروف على مظاهر العالم، في أن يتم النَّصر لها العام 800 هـ وفي حساب الحروف، وهذا الرقم يعادل الضاد من اسم فضل الله، وتوافق مطلع القرن التاسع الهجري (الشِّيبي، الصِّلة بين التصوف والتَّشيع 2 ص 155 وما بعدها). ومسألة تطبيق الحروف على ظواهر العالم وبدن الإنسان قد مارسه إخوان الصفا وخِلان الوفا في رسائلهم (رسائل إخوان الصَّفا 3 ص 139).

(2) العزاوي، العراق بين احتلالين 152 -156.

كان موقف النُّصيرين العلويين إيجابياً من الحركة الكمالية إبان الحرب العالمية الأولى، بزعامة مصطفى كمال المعروف بأتاتورك (ت 1938)، قادهم إلى ذلك موقف الدَّولة العثمانية السابق ضدهم، وعلى اعتبار أن إعلان الجمهورية سيكون نهاية لاضطهادهم، حتى نظروا إلى أتاتورك كمخلص.

ففي مناسباتهم الدينية يضعون صورته إلى جانب صورة ترمز إلى الإمام علي بن أبي طالب. ومع ذلك ظلوا يحذرون من السلطة وذلك بفعل الماضي العصيب. فإذا صدقت رواية الطَّويل، وهو أحد موظفي البوليس العثماني، في «تاريخ العلويين» بأن السلطات العثمانية كانت تستخدم القازوق أو الخازوق في تعذيبهم، في عهد السلطان سليم الأول، وهو وتد يدخل في الدبر ويعبث بالأمعاء، فالإنسان المعذب يبقى بين الحياة والموت في عذاب مرير، هناك يفهم حذرهم من أية سلطة بأنه حالة طبيعية. جاء اسم هذه الآلة من الخزق أي إقحام الشيء الصَّلب، والخازق سنان الرمح، والخازق: «وتد طويل محدّد الرأس، يُسميه البغداديون قازوق»[1]. كان النَّوع من العذاب أو القتل يستعمل منذ زمن أبي جعفر المنصور (ت 158 هـ)[2].

بعد قيام الجمهورية التركية أخذ العلويون يظهرون إلى النُّور عبر الموسيقى والشَّعر، إلا أن انقلاب أيلول (سبتمبر) 1980 كان

---

(1) الشَّالجي، موسوعة العذاب، فصل التعذيب بالخوزقة 4 ص 69.

(2) المصدر نفسه.

محطةً سيئةً في حياتهم بعد قيام الجمهورية، فقد عزز الانقلاب الاتجاهات المتشددة، وفرض عليهم التدريس الإجباري لمادة الدِّين على المذهب الحنفي. بعدها أصدر مثقفيهم بياناً في مارس (آذار) 1989، ومن نقاطه:

1. إن العلويين جناح من الإسلام بتركيا.

2. إن السُّنَّة الأتراك لا يعرفون شيئاً عن مواطنيهم العلويين ماعدا الشَّائعات، فالإعلام لا يقدم شيئاً عنهم. وهناك دعاية في المدارس ضدهم.

3. رئاسة الشؤون الدِّينية بتركيا لا تمثلهم، وعلى الدّولة منع الرَّئاسة الدِّينية من إشادة الجوامع السّنية في قراهم ومناطقهم.

4. الدَّولة تعمل على تجاهلهم، وأن معاداتهم تؤثر في السياسة التركية تجاههم فأعضاء الحكومة والبرلمان يخشون التلفظ بكلمة «علوي». والدَّولة تمزج بين العلوية والفكر الشِّيعي الإيراني، وهذا خطأ.

5. لقد انتهى اضطهاد العلويين بقيام الدولة التركية، بعد الحرب العالمية الأولى، لكن الضغوط الاجتماعية والدِّينية ضدهم ظلت مستمرة.

يطالب العلويين هناك بتطبيق مفهوم الدَّولة العلمانية في معاملتهم بصورة كاملة، وإلغاء التَّعليم الدِّيني من أجل السَّلام

الأهلي، ورفع الحظر عن المنظمات الدِّيمقراطية: الطلبة والعمال وما إليها. وتشريع تأسيس «بيوت الجُمع»، وهي دور عبادتهم أو المساجد الخاصة بهم[1].

صاغ التَّاريخ وجود العلويين، بداية من اختلافهم عن الجسد الشيعي الإمامي، مع إقرارهم بالأئمة الإثني عشر، لكن الافتراق في الوسائل أبعدهم عن الشِّيعة، فهم اتخذوا، مثلما تقدم، البابية، بينما اتخذ الجعفرية السَّفارة في التَّعامل بعد وفاة الإمام العسكري، ثم دخلوا طرفاً ثالثاً في النزاع بين الصَّفويين والعثمانيين، ونشطت فيهم الطرق الصُّوفية، فقيل فيهم الكثير من الجنوح إلى ارتكاب المحرمات، ولم ينتبهوا لتاريخهم إلا بعد العواصف التي هبت عليهم حديثا بهم مثلما تقدم.

(1) المصدر نفسه، محمد نور الدِّين، البيان العلوي 1989 حدث فكري أساسي، ص 15-18.

خاتمة

لم يكن الاهتمام في هذه اللحظة بالكتابة عن النُّصيرية العلوية إلا بتأثير ما يحدث بسورية، وما يجري فيها بين النِّظام ومعارضته، وما يحصل من صدامات ببيروت مع العلويين، فهل ما يحصل هو مواجهة طائفية، أم ما فرضته السياسة؟!

نعم إنه تأثير السِّياسة وتوظيف الطَّوائف فيها، فالتقارب الإيراني السوري، منذ زمن الرئيس حافظ الأسد ما كان يُحسب التضامن على أساس القرب الطَّائفي كثيراً مثلما هو الحال اليوم، فكان لسورية وشائج قوية مع بقية الدُّول السُّنية بالمنطقة، على الرَّغم من خصومة تلك الدُّول مع إيران، لكن الخلاف السُّوري العراقي ووجود الحرب العراقية الإيرانية حتم بناء العلاقات بين دولتين ضد خصم واحد، كانت خصومته على أساس حزبي بالدرجة الأولى، دون أن يخلو الوضع من استفادة من الغطاء الطَّائفي.

لكن هل لنا اعتبار العلاقات الإيرانية السُّورية، المصيرية مثلما نراها في هذه الظروف الرَّاهنة، خالية من استغلال الطائفية؟! وكأن المشهد يظهر القضية بأنها علوية سُنَّية، مع أن جهود شيوخ الطَّائفة العلوية، لعقود من الزَّمن، في محاولات التطبيع مع المحيط المسلم جارية على قدم وساق، وتقديم أنفسهم على أنهم جعفرية، شأنهم شأن بقية الشِّيعة الإثني عشرية.

لكن ذلك لم يحصل مِن بوابة السِّياسة، إنما مِن بوابة الدِّين والمذهب، وكم سيؤثر ما تسفر عنه الحرب السُّورية الآنية وحملات القمع والعنف، الذي يفهم على أنه علوي لا بعثي حكومي، على مستقبل الطَّائفة العلوية، التي ظلت لقرون تدفع ثمن تماثلها المذهبي مع الصَّفويين خلال النِّزاع الطَّويل بين الدَّولتين: العثمانية والصَّفوية؟!

أهم ما طرحناه في هذا الكتيب هو التبسط في لحظة الافتراق عن الإمامية أو الإثني عشرية، في قضية ملء فراغ الإمامة بسامراء آنذاك، ولأن أغلب تسميات الفرق والمذاهب جاءت نسبة للرِّجال فنسبوا إلى محمد بن نُصَير، الذي قدم نفسه كباب للإمام الحسن العسكري وظل باباً لابنه الغائب المفترض، فطبيعي أن تسمى بالنُّصيرية، وإن كانت جعفرية واثني عشرية. لهذا طرحنا في الكتيب إشكالية الاسم، وكيفية التعاطي معه في محاولة احتكار العلوية، أي حب علي بن أبي طالب، أو التَّميز عن سواهم مِن محبي علي بهذه المنزلة.

كذلك إن التَّسمية بالنُّصيرية ليست خطأً، بل على العكس نجد التَّسمية بالعلوية خطأً، لأن فيها احتكارا للعلاقة والصلة مع علي بن أبي طالب، بينما نجد مذاهب وفِرق عديدة لها العاطفة نفسها، فلماذا تحتكر هذه الطَّائفة التسمية دون غيرها، مع علمنا أن العديد مِن المذاهب عُرفت نسبة للرؤساء. فإما أن تبقى على الاسم وتظهر دفاعها عن ابن نُصير، وهو لا نظن كان بالسوء الذي ذُكر به مِن قِبل السُّنَّة والشِّيعة على حدٍ سواء.

من خلال القراءة في ما كُتب عن هذه الطَّائفة وجدنا هناك خلطاً بين الطَّائفة وأفكار وسلوكيات المنتمين لها، بما ليس له علاقة بالطَّائفة الدِّينية، فلماذا يُحسب الناشط القومي زكي الأرسوزي على أن أفكاره وما كتبه ونظّر له على أنه علوي، وكذلك سلوك قيادة حزب البعث لأن أمينه العام ورئيس النِّظام علوي نُصيري، مثلما يُحسب سلوك رئيس نظام منتسب إلى السُّنَّة على أنه سلوك سُني! مثلما أخذ يشير البعض إلى نظام صدام حسين، أو ما يُشير الآن إلى سلوكيات أحزاب شيعية على أنها أفكار وأخلاق شيعية! أرى في ذلك مزجا لا مبرر له، فالطائفة تعيش في مجتمع تظهر فيه أحزاب وأفكار خارج الطَّوائف ينتمي لها أبناء تلك الطَّوائف، لكن ليس معنى هذا أن هؤلاء يمثلون طوائفهم، مثلما يحصل الخلط بين النِّظام السُّوري والطَّائفة العلوية النُّصيرية.

فالسؤال يطرح نفسه: هل حصنت وحدة الطَّائفة الزَّعامات السُّورية من الخلاف السِّياسي والحزبي داخل حزب البعث؟! فالمعركة كانت بين صلاح جديد وحافظ الأسد العلويين، حتى مات الأول في سجن الثَّاني. ثم ما حصل بين الأخ وأخيه أي حافظ ورفعت، وفي ظل زعامة ابن الأخ ظل العم منفياً، بل منع من حضور جنازة أخيه. بمعنى أن السَّياسة صادرت الطّائفة!

ختاماً، لقد أخذ التحريض الطَّائفي مداه في النُّفوس، وعلى وجه الخصوص الشَّباب وما في هذا العمر من انفعالات وميول للتطرف والغلو في الأفكار. فكم استغربت من شاب سوري، من مواليد 1991، التقيت به صدفة بالدّوحة على هامش ندوة المركز

العربي للأبحاث (8 أكتوبر 2012)، وهو من اللاذقية، وجدته مقتنعاً قناعة تامة بأن العلويين كفار وأنهم يعبدون علي بن أبي طالب، ولا يصلون، وهدفهم قتل أهل السُّنة بسورية، كي تبقى سورية لهم وحدهم، وإن وجود صور بشار الأسد وأبيه هي عبادة من العلويين لهما. وعندما سألته كيف عرفت ذلك، قال: لي بينهم أصدقاء، وأنا رأيتهم أو سمعتهم. كان منفعلاً طائفياً، إلى درجة لا يريد أن يُصدق أن هناك زعماء سُنَّة في حزب البعث! شاب آخر قال إنهم يتبادلون النِّساء، وهي التهمة التي ذكرنها في ما سبق، والخاصة بليلة «الكفشة»، ولما سألته كيف عرفت، قال: هذه حقيقة، قال لي فلان وفلان! وهكذا تجد الموقف الطَّائفي قد فشا، ولا ندري ماذا يحدث بعد تغيير النِّظام السوري؟! لذا لا بد من كلمة عاقلة ورأي هادئ يميز بين السِّياسة والطَّائفة، ليس بسورية فقط إنما بالأماكن المبتلية كافة.

تم في أيلول (سبتمبر) 2012

المصادر والمراجع

- الإبراهيم، الشيخ علي عزيز

العلويون والتَّشيع. بيروت: الدَّار الإسلامية 1992.

- ابن أبي الحديد، عزُّ الدِّين عبدالحميد (ت 656 هـ)

شرح نهج البلاغة. تحقيق: محمد عبدالكريم النَّمري. بيروت: دار الكتب العلمية 2003.

-ابن الأثير، عزُّ الدِّين علي بن أبي المكارم(ت 630 هـ)

الكامل في التَّاريخ. بيروت: دار صادر. بلا تاريخ طبع.

- ابن بطوطة، محمد بن إبراهيم اللواتي (ت 779 هـ)

رحلة ابن بطوطة: تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. بيروت: دار صادر 1998.

رحلة ابن بطوطة. تحقيق: عبدالهادي التَّازي. أكاديمية المملكة المغربية 1997.

- ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد (ت 728 هـ)

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النَّجدي. الرياض: مطابع الرياض، ثلاثون جزءاً 1383 هـ.

- ابن جُبير، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت 614 هـ)

رحلة ابن جُبير: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار. ليدن المحروسة: مطبعة بريل 1907.

- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت 708 هـ)

الفخري في الآداب السُّلطانية والدُّول الإسلامية. بيروت: دار صادر، بلا تاريخ طبع.

- ابن طيفور، أحمد بن طاهر (ت 280 هـ)

كتاب بغداد. تحقيق: محمد زاهد الكوثري. النَّاشر: عزت عطا الحسيني مكتب نشر الثَّقافة الإسلامية 1949 بلا مكان طبع.

- ابن عساكر، علي بن الحسن (ت571هـ)

تاريخ مدينة دمشق. تحقيق محب الدين العمروي. بيروت: دار الفكر 1995.

- ابن المبرد، جمال الدِّين يوسف الحنبلي (ت 909 هـ)

دفع الملامة في استخراج أحكام العَمامة. تحقيق: عبدالله الطَّيار وعبدالعزيز الحجيلان. الرياض: دار الوطن 1425 هـ.

- الأذني، سليمان أفندي (قُتل 1866)

الباكورة السليمانية في كشف أسرار الدِّيانة النّصيرية. القاهرة: دار الصَّحوة 1990.

- إخوان الصَّفا وخلان الوفا (القرن الرابع الهجري)

الرَّسائل. تقديم: بطرس البستاني. بيروت: دار صادر، 2006.

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحُسين (ت 356 هـ)

كتاب الأغاني. تحقيق: إحسان عباس وإبرهيم السعانين وبكر عباس. بيروت: دار صادر 2008.

-الأنصاري، سَعد

الفُقهاء حُكام على الملوك. دار الهدى 1986 بلا مكان طبع.

-البغدادي، عبدالقاهر (ت 429 هـ)

الفرقُ بين الفرقِ. بيروت: دار الجيل والآفاق الجديدة 1987.

- البيروني، أبو الرَّيحان محمد بن أحمد (ت 4440 هـ)

الآثار الباقية عن القرون الخالية. لايبزك: 1923.

-التِّنكابني،الميرزا محمد بن سليمان (القرن الثَّالث عشر الهجري)

قصص العلماء. ترجمة مالك وهبي. بيروت: دار المحجة البيضاء 1992.

- تيرنر، كولن

التَّشيع والتَّحول في العصر الصَّفوي، ترجمة: حسين علي عبدالسَّاتر، كولن بغداد، منشورات الجمل 2008.

- حسين، محمد

الجيل الثَّاني ... قصة واقعية تحكي عقائد النَّصيريين وعاداتهم. دار العقيدة للتأليف والطِّباعة 1986 بلا مكان طبع.

- الحموي، ياقوت (ت 626 هـ)

معجم البلدان. بيروت: دار صادر 1995.

- الخصيبي، الحسين بن حمدان (ت334هـ)

الهداية الكبرى. بيروت: مؤسسة البلاغ 1986.

- الخطيب، محب الدِّين (ت 1389هـ)

مؤتمر النَّجف. مصر: المطبعة السلفية 1402هـ.

- الخميني، آية الله روح الله الموسوي (ت 1989)

تحرير الوسيلة. طهران: منشورات مكتبة اعتماد.

- الزِّركلي، خير الدين (ت 1976)

الأعلام قاموس تراجم. 1957 بلا مكان طبع. الطبعة الأُولى 1926.

- زيات، حبيب (ت 1954)

الدَّيارات النَّصرانية في الإسلام. بيروت: الكاثوليكية 1938.

- السَّمائلي، الشيخ سالم محمود

إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشَّعثاء. تحقيق: سيدة كاشف. القاهرة: 1979.

- السِّيستاني، آية الله السيد علي

منهاج الصَّالحين. دولة الكويت: محمد رفيع حسين معرفي الثَّقافية الخيرية 1416.

- الشَّابُشتي، علي بن محمد (ت 388هـ)

الدِّيارات. تحقيق: كوركيس عواد. بغداد: مطبعة المعارف 1951.

-الشَّافعي، الإمام محمد بن إدريس (ت 204 هـ)

ديوان الشَّافعي. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر 2007.

-الشَّالجي، عبود المحامي (ت 1996)

موسوعة العذاب. بيروت: الدَّار العربية للموسوعات، بلا تاريخ طبع.

-شرف الدِّين، تقي

النّصيرية دراسة تحليلية. نسخة بي دي ألف من المكتبة الوقفية، على الرَّابط:

http://www.waqfeya.com/search.php

- الشَّكعة، مصطفى(ت 2011)

إسلام بلا مذاهب، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية 2005. الطبعة الأُولى 1960.

- الشِّيبي، كامل مصطفى (ت 2006)

الصِّلة بين التَّصوف والتَّشيع. بيروت: دار الأندلس 1982.

- شير، السَّيد آدي (قُتل 1915)

معجم الألفاظ الفارسية المُعربة. بيروت: مكتبة لبنان 1980.

- الصَّراف، أحمد حامد (ت 1985)

الشبك من فرق الغلاة في العراق. بغداد: مطبعة المعارف 1954.

- الطَّبري، محمد بن جرير (ت 310هـ)

تاريخ الأمم والملوك. تحقيق: عبأ علي مهنا. بيروت: مؤسسة

الأعلمي للمطبوعات 1998.

- الطُّوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت 460 هـ)

كتاب الخلاف. قُمّ: مؤسسة النَّشر الإسلامي 1407 هـ.

كتاب الغيبة. تحقيق: عباد الله الطَّهراني وعلي أحمد ناصح. قم: مؤسسة المعارف الإسلامية 1429.

- الطَّويل، محمد أمين غالب(ت 1932)

تاريخ العلويين. بيروت: دار الأندلس.

- عباس، العميد أحمد

أُصول الدِّين عند الشِّيعة العلويين. بيروت: دار المنتظر 2000

-عبدالجليل، المُنصف

الفرقة الهامشية في الإسلام. تونس: مركز النَّشر الجامعي 1999.

- عثمان، هاشم

العلويون بين الأسطورة والحقيقة. بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات 1994.

تاريخ العلويين وقائع وأحداث. بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات 1997.

- العزاوي، عباس (ت 1971)

الكاكائية في التَّاريخ. بغداد: شركة التِّجارة والطِّباعة المحدودة 1949.

تاريخ العراق بين احتلالين. بغداد: مطبعة بغداد 1935 -1955.

- العزيز، حسين قاسم (ت 1995)

البابكية. دمشق: دار المدى 2000.

- العلواني، الشيخ طه جابر

العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات. القاهرة: مكتبة الشروق 2005، جزءان.

- علي، محمد كرد (ت 1953)

خطط الشَّام. بيروت: دار الملايين 1971.

- غالب، مصطفى

الحركات الباطنية في الإسلام. بيروت: الأندلس 1982.

- الغزالي، أبو حامد (ت 505 هـ)

فضائح الباطنية. تحقيق: محمد علي القُطب. بيروت: المكتبة العصرية 2001.

- الفخري، عبدالله (القرن التاسع الهجري)

تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان. بيروت: دار مدارك 2011.

- القزويني،أمير محمد الكاظمي

الشِّيعة في عقائدهم وأحكامهم. دولة الكويت: مؤسسة محمد رفيع حسين معرفي 1996.

- كاشف الغطاء، محمد حسين (ت 1954)

أَصل الشِّيعة وأُصولها. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات 1993.

- الكركوكلي، الشيخ رسول (ت 1824)

دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء. ترجمة: موسى

كاظم نورس عن التركية. قُمّ: منشورات الشَّريف الرَّضي 1413 هـ، مستنسخة عن طبعة بغداد.

- الكوراني،علي العاملي

عصر ظُهور المهدي. بيروت: دار المحجة البيضاء 2004.

- المجلسي، محمد باقر (ت 1699)

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. بيروت: مؤسسة الوفاء 1983. 110 جزء.

- مجموعة باحثين

كتاب مسبار الثَّالث والأربعون،يوليو (تموز) 2010. دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث.

- مكاريوس، شاهين (ت 1910)

تاريخ إيران. القاهرة: مطبعة المقتطف 1898 مقدم إلى الشَّاه القاجاري مظفر الدِّين.

- نوفل، نعمة نوفل طرابلسي(ت 1887)

سوسنة سليمان في أُصول العقائد والأديان. بيروت: 1876.

- الهندي، علي المتقي (ت 975هـ)

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. تحقيق: حسن رزق، وصفوت السقا. حلب: مكتبة التراث الإسلامي 1970 ثمانية عشر حزءاً.

- يوسف، محمد خير رمضان

تتمة الأعلام للزِّركلي. بيروت: دار ابن حزم 2002.

- مجلة المجمع العلمي العراقي 1956.

- مجلة لغة العرب، الجزء السَّادس، المجلد الثَّالث، السنة الثالثة 1913 والجزء السَّادس والسَّابع، المجلد الخامس، السنة الخامسة 1927. الجزء الخامس والثامن، المجلد الثامن السنة الثَّامنة 1929.

- مجلة المقتطف، المجلد 59 السنة 1921.

- مجلة النُّور الإسلامية، مؤسسة الإمام الخوئي، تموز (يوليو) 1995.

فهرس عام

(أ)

الإباضية: 34.

إبراهيم المعروف بالباشا: 83.

إبراهيم الديدج: 30.

ابن أبي الحديد: 32.

ابن الأثير عز الدين المؤرخ: 23-24.

ابن بطوطة الرحالة: 7، 62، 50-114، 77، 75، 73.

ابن تيمية، أحمد: 73، 75-76، 78، 80، 116.

ابن جبير الرَّحالة: 77

ابن حزم الظَّاهري: 31.

أبو بكر الصِّدِّيق: 41.

أبو جعفر المنصور: 144.

أبو حامد الغزالي: 86-87.

أبو ذر الغفاري: 49.

أبو الريحان البيروني: 89-91.

أبو شاكر المبارك الحسن العيوني: 91.

أبو شجاع الوزير البويهي: 24.

أتاتورك، مصطفى كمال: 144.

الأثنا عشرية/ الإمامية/ إماميون/ الجعفرية/ الجعفريون/ الشِّيعة: 9، 11، 16-19، 17، 18، 20-22، 23-25، 26، 31 34- 35، 37، 39، 43-47، 49، 51-54، 57، 67، 94، 105، 107، 117، 119-120، 123

الإخوان المسلمون: 9، 58.

آدم أبو البشر: 41-42.

أربيل: 10.

أرثدوكسية: 71.الأنبار: 10.

أزمير المدينة التركية:69.

أحمد تفاحة: 95.

أحمد الحبوبي: 15.

أحمد عباس: 197.

أدونيس علي أحمد سعيد: 97.

الأرمن: 127.

إسماعيل شاه الصَّفوي: 137.

الإسكندرونة: 132.

الإسماعيليون/
الإسماعيلية:24، 52، 60، 79،
130.

أصحاب التناسخ: 82.

الأفغان: 135.

ألمانيا: 99.

أمين الحسيني (محمد المفتي):
93، 116.

أمين الطويل: 35، 44، 49، 53،
69، 106، 120.

أنستاس ماري الكرملي:
91،59،23-92.

أنطاكية: 132.

أهل الحقة (جماعة صوفية
بالسليمانية): 142.

أهل السُّنة: 10، 14-21، 35،
42، 44، 67، 135.

إيران: 137-138، 141، 147.

الإيرانيون: 109، 135.

الإيزيديون/ اليزيدية: 10، 88.

(ب)

البابية: 70.

البابكية: 84، 86.

باريس: 99.

الباطنية: 24.

البحرين: 91.

بدوي الجبل: 82، 97، 99.

برهوم الحاشوش: 81.

بشار الأسد: 22، 150.

البصَّرة: 10.

بطرس قزي أبو موسى الحريري: 61، 116.

بغداد: 10، 23، 135.

البغداديون: 144.

البكتاشية: 69، 84، 88، 143.

البلاد العلوية: 110.

البويهيون: 50.

بيروت: 59-60.

بيوت الجمع (مكان العبادة): 146.

(ت)

تايه عبد الكريم: 24.

التتار: 79.

تحية زوجة جمال عبد النَّاصر: 15.

الترك، الأتراك: 23، 54، 141-142.

تركستان: 135.

التركمان الشِّيعة: 50، 142.

تركيا: 7، 11، 23، 74، 132، 145، 147.

تقي شرف الدِّين: 61-62، 64-65.

تكريت: 10-11.

تكية الددة: 143.

تمام أحمد: 106.

(ث)

ثمامة بن أشرس المعتزلي: 138.

(ج)

جابر الجعفي: 38.

جامعة بيروت: 122.

جبرائيل الملاك: 42.

جبال العلويين: 51.

جبل عامل: 24، 94.

جبل كام: 114.

جبلة (قرية علوية): 62، 73.

الجسري: 40.

جعفر الصَّادق الإمام: 24،33-34، 41، 46، 115، 134، 140.

جعفر بن الإمام علي الهادي: 32-33.

جعفر المتوكل الخليفة العباسي: 30.

جند السَّماء: 74.

جمال الدِّين علي بن المُرب: 91.

جمال عبد الناصر: 14.

الجنبلانية (طريقة صوفية نصيرية): 44.

جهيمان: 74.

(ح)

حافظ الأسد: 11- 12، 20-22، 58، 64، 134، 149.

حبيب آل إبراهيم: 95.

حبيب نيقولا الزَّيا: 92.

الحرورية: 36.

الحروفية (طريقة صوفية): 69، 143.

حزب الله اللبناني: 22، 96.

حزب التحرير الإسلامي: 9.
حزب العمال الكردستاني: 141.
حسن الددة: 143.
حسن الصَّبَّاح (الإسماعيلي): 24، 77.
الحسن العسكري الإمام: 19، 23، 30، 32-33، 35، 38، 44، 48، 57، 66-67، 70، 113.
الحسن بن علي بن أبي طالب: 38.
حسن المكزون السنجاري: 121.
الحسين بن حمدان الخصيبي: 30، 33 -35، 39-42، 108، 113، 117.
الحسين بن روح النوبختي: 36-37.
الحسين بن علي بن أبي طالب: 30.
الحشاشون: 24.
حلب (المدينة السورية): 39.
حماة (المدينة السورية): 58.
الحمدانيون: 50.
حَمص: 114، 137.
(خ)
الخرمية: 86.
الخلفاء الراشدون: 136.
الخواجة ميخائيل: 60.
(د)
دار السَّلام: 135.
الدَّوحة، العصمة القطرية: 149.
داوود باشا الوالي: 135.
دجلة (النهر) 143.

الدُّروز: 70، 79، 109.

دمشق: 12، 22، 50، 64، 75-77، 99.

الدَّولة الأموية: 9.

الدَّولة العباسية: 9.

الدونمة: 74.

دير الأخوات: 84.

(ر)

رابطة الشَّباب المسلم العلوي: 128.

رسول الكركوكلي: 135.

رشدي العامل (شاعر عراقي): 24.

رشيد الهجري (أحد أبواب الأئمة): 38.

الرِّفاعية: 43، 83.

رفعت الأسد: 21، 58، 149.

(ز)

زكي الأرسوزي: 71، 149.

الزيدية: 53، 107.

زينب بنت علي بن أبي طالب: 64.

(س)

سادن ضريح رأس الحسين بالقاهرة: 64.

سامراء: 10، 16، 23، 29، 35، 54، 105.

سرايا الدِّفاع: 21.

سعود المولى: 65.

السفراء الأربعة (سفراء المهدي المنتظر): 23، 57، 94، 105.

سلطنة عُمان: 110.

سلمان الفارسي: 38، 49.

سلمان أفندي الأذني: 58، 60، 106.

سليم البشري (شيخ الأزهر): 25.

سليم الأول السلطان العثماني: 50، 112.

سليمان أحمد سليمان (شيخ النُّصيرية): 43، 82، 97، 100.

سنجار (مدينة عراقية): 23.

سيف الدَّولة الحمداني: 39.

سورية: 7-8، 10- 11، 13، 15، 17، 20، 22، 25، 59، 62، 74، 97-99، 111، 118، 127، 129، 132- 133، 135، 150.

السوريون: 13، 25، 58.

السَّيد الحميري الشاعر الشِّيعي: 140.

سيناء: 98.

(ش)

الشَّام: 13، 39، 43، 69، 127، 137.

شافعية: 51.

الشَّبك: 83، 88.

شرف الدين الزواوي: 75.

شُكري صالح زكي: 15.

شهاب الدِّين مرعشي: 109.

الشَّهرستاني محمد بن عبد الكريم: 31.

الشِّيوعيون: 86.

(ص)

الصَّابئة المندائية/المندائيون/ الصابئيون: 10، 83.

صدام حسين: 11، 17.

صلاح جديد: 10-11، 15،

21، 149.

الصَّليبيون: 114.

الصُّوفية: 83، 143.

الصَّفويون: 17، 50، 136، 146.

(ض)

ضريح رأس الحسين: 64.

(ط)

طرابلس (لبنان): 89، 108، 130، 132.

الطَّرسوسيون: 40.

طهران: 22.

(ع)

عانة (مدينة بغرب العراق): 23، 66.

عباس العزاوي (المؤرخ): 88، 143.

العباس بن علي: 51.

العباسيون: 51.

عبد الحسين شرف الدِّين (صاحب المراجعات): 24.

عبد الرَّحمن يحيى الأرياني: 107.

عبد الرَّحمن بدوي: 65، 117.

عبد الرَّحمن الخيِّر: 35، 44، 65، 94-95، 106-107، 109، 123.

عبد الحليم خدام: 20.

عبد السَّلام عارف: 15.

عبد الله بن إباض: 34.

عبد الله الأحمر (السوري): 20.

عبد الله أوجلان (حزب العمال الكردستاني): 8.

عبد الله الجنبلاني: 39، 117.

عبد الله بن سبأ: 31.

عبد الله السويدي: 66، 135.

عبد الله الكابلي كنكر (باب الأئمة): 38.

عبد الله المأمون الخليفة العباسي: 138.

عبد العال الكركي (شيخ الإسلام لدى الصوفيين): 137.

عبد العزيز البدري: 9.

عبد القاهر البغدادي: 82، 84.

عبد المطلب بن هاشم: 41.

عبد الهادي التَّازي: 76-77.

عثمان بن سعيد العمري (أحد سفراء المهدي المنتظر): 36-37.

العثمانيون: 17، 44، 50، 146.

عربين (منطقة سورية): 96.

عزُّ الدِّين بن مسلم قاضي الحنابلة: 76.

عضد الدَّولة البويهي: 39.

العراق: 11، 17، 25، 50، 54، 74، 139.

عكبرا (مدينة عراقية قديمة): 84.

علي بن أبي طالب/عبد مناف: 13، 34، 38، 40-43، 48-450، 52، 54، 63، 65، 84، 111، 113، 121، 127، 136-137، 148.

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: 38.

علي صدر الدِّين البيانوني: 22.

علي شهاب (علوي معارض

للفرنسيين): 127.

علي عزيز الإبراهيم الشيخ: 108-109، 111، 113- 114، 117-118.

علي بن محمد السَّمري: 36-37.

علي بن محمد الشَّابُشتي: 84، 89- 90.

علي بن محمد الهادي الإمام: 29-30، 32، 38.

علي بن موسى الرضا الإمام: 38.

عمر بن الخطاب: 40 -43.

عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي: 136.

عمار بن ياسر: 49.

عمر بن الفرات (باب الأئمة): 38.

العوجة (قرية تابعة لتكريت): 11.

(غ)

الغرب: 9.

الغلاة: 36.

(ف)

الفاطميون: 50.

الفتوة: 52.

فرنسا: 132.

الفرنسيون: 51، 53، 62، 99، 127.

فضولي الشاعر: 143.

الفلاسفة: 82.

فؤاد الرِّكابي (أحد مؤسس البعث العراقي): 9.

(ق)

القاهرة: 22، 59، 64.

القدرية: 36.

القرامطة: 40، 91-92.

قرداحة (قرية نصيرية تابعة للاذقية): 12، 16، 62.

القزلباشية: 50، 142.

قزوين (شمال إيران): 78.

قلعة ألموت: 78.

قيس السَّفينة: 38.

(ك)

كاكائية: 87.

كامل مصطفى الشِّيبي: 36.

كربلاء: 17، 63- 64، 143.

الكرد: 23، 50، 83، 109، 141-142.

الكوفة: 41، 50، 86.

كينيا: 8.

(ل)

اللاذقية: 72، 77، 106، 115، 123، 127- 130.

لبنان/الجمهورية اللبنانية: 11، 111، 129، 131، 150.

لندن: 7.

(م)

المجوس: 36.

محب الدِّين الخطيب: 67-68.

مدحت باشا: 69.

المرجعية الشِّيعية: 24.

المزدكية: 86.

محسن الحكيم آية الله المرجع: 95، 109.

محلة السراي (بمدينة عانة): 23.

محمد بن إدريس الشَّافعي: 51.

محمد بن بابويه القمي الشيخ الصدوق: 36، 47.

محمد باقر المجلسي: 35، 40، 48، 108.

محمد بن الحسن أبو جعفر: 30.

محمد بن الحسن الطُّوسي: 30، 35، 47-48.

محمد بن الحسن المهدي المنتظر: 17، 23، 30، 33، 35، 41، 44، 49، 53، 68، 73-74، 78-79، 111، 113، 124.

محمد حسين (كتيب الجيل التالي): 58.

محمد حسين فضل الله: 110، 114.

محمد رضا شمس الدِّين: 95، 118.

محمد رضا المظفر الشيخ: 45.

محمد شكري الأسطواني الشيخ: 134.

محمد بن عثمان العمري (أحد سفراء المهدي المنتظر): 36-37.

محمد بن علي الباقر الإمام: 38.

محمد علي باشا: 69.

محمد الكاهلي (باب الأئمة): 38.

محمد كُرد علي المؤرخ والأديب: 43، 82، 108.

محمد بن المفضل (باب الأئمة): 33، 38.

محمد بن نُصير النّميري: 17-18، 23، 26، 29-35، 37-39، 44-45، 48، 51، 57، 70، 120، 124.

محمد بن يعقوب الكليني: 47.

محمود مرهج (شخصية علوية): 95.

المذهب الجعفري: 14، 134.

المذهب الحنفي: 13.

المستشرقون: 19، 118.

المسجد الأموي: 12، 20.

المستظهر بالله الخليفة العباسي: 87.

المسيحيون/ المسيحية، المسيح: 10، 57- 59، 91، 127، 131.

مصر: 50، 64، 69، 87.

المصريون: 64.

مصطفى الرَّافعي الشيخ: 110.

مصطفى الشَّكعة: 108، 119- 123.

معاوية بن أبي سفيان: 13، 50، 136، 138.

المعتزلة: 26.

المعتصم بالله الخليفة العباسي: 84.

المغرب: 45، 50-51.

المفوضة: 36.المقتدي بأمر الله الخليفة العباسي: 24.

الملك النَّاصر: 75.

المنصف عبد الجليل: 69.

موسى بن جعفر الكاظم الإمام: 38.

موسى الصَّدر: 110.

موسى كاظم نورس: 135.

الموسوية: 53.

الموصل: 10، 23.

ميشيل عفلق: 71.

ميمون بن قاسم الطبراني (أحد كبار

النُّصيرية): 39، 48.

(ن)

نادر شاه: 134، 136، 139-140.

النَّجف: 24، 31، 67، 94-96، 118، 135، 140.

النَّزارية: 24، 78، 114.

النَّسطورية: 89.

النَّصارى: 36، 91- 92.

نصير الدِّين الطُّوسي (الفلكي): 80.

النَّقشبندية (فرقة صوفية): 43، 83، 142.

النّميرية (فرقة نسبة للنميري): 29، 17.

نوفل بن نعمة الله الطرابلسي: 88-89.

(هـ)

هادي العلوي الباحث العراقي: 9.

هاشم عثمان: 51.

الهاشميون: 51.

(ي)

ياقوت الحموي (صاحب معجم البلدان): 114، 137.

يحيى بن أم طويل: 38.

اليمن: 107.

اليهود: 36.

يوسف جمال الدِّين بن المبرد: 109.

يوسف سلمان يوسف (فهد): 72.

النصيرية العلوية بسورية

السياسة تصادر الطائفة

من خلال القراءة في ما كُتب عن هذه الطّائفة وجدنا هناك خلطاً بين الطّائفة وأفكار وسلوكيات المنتمين إليها، بما ليس له علاقة بالطّائفة الدّينية، أرى في ذلك مزجاً لا مبرر له، فالطائفة تعيش في مجتمع تظهر فيه أحزاب وأفكار خارج الطّوائف ينتمي إليها أبناء تلك الطّوائف، لكن ليس معنى هذا أن هؤلاء يمثلون طوائفهم، مثلما يحصل الخلط بين النِّظام السّوري والطّائفة العلوية النُصيرية.

فالسؤال يطرح نفسه: هل حصّنت وحدة الطّائفة الزّعامات السّورية مِن الخلاف السّياسي والحزبي داخل حزب البعث؟ فالمعركة كانت بين صلاح جديد وحافظ الأسد العلويين، حتى مات الأول في سجن الثّاني. ثم ما حصل بين الأخ وأخيه حافظ ورفعت، وفي ظل زعامة ابن الأخ ظل العم منفياً، بل منع مِن حضور جنازة أخيه. بمعنى أن السّياسة صادرت الطّائفة!

ISBN 978-9948-425-03-8
9 789948 425038

Madarek
Madarek Publishing House
مدارك
دار مدارك للنشر